بنـــو يفـــرن الزناتيـــــون
فى بلاد المغـــرب والاندلس

دكتور
رضوان البارودى
أستاذ التاريخ والحضارة الاسلامية المساعد
كلية التربية كفر الشيخ
جامعة طنطا

١٩٩١

دار نشر الثقـــافة بالاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيــد

قسم المؤرخون البربر سكان المغرب الى قسمين كبيرين : بربر البتر وبربر البرانس ، كل منهما يضم عددا كبيرا من القبائل تنقسم بدورها الى أفخاذ وبطون توزعت منازلهم على جميــع أنحاء بلاد المغرب • وبنو يفرن — موضوع هذا البحث — من أهم فروع قبيلة زناتة البترية[1] ، فقد ذكر ابن حزم الأندلسى أن بنى يفرن ينتسبون الى يفرن بن يصلتين بن مصرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديديت بن شانا[2] (وهو جانا أوزانا الذى تنتسب اليه قبيلة زناتة) • وينقسم

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج.س.كولان ، ليفى بروفنسال . بيروت ١٩٨٠ ج١ ص٦٦ • ومن المعلوم أن قبائل البتر الكبرى هى : ضريسة ونفوسة واداسة وبنو لوا الأكبر ، وتنقسم ضريسة الى فخذين كبيرين : مكناسة وزناتة . انظر : ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر . طبعة بولاق ١٢٨٤هـ • ج٦ ص٩١ •

(2) ابن حزم : جمهرة انساب العرب . تحقيق عبد السلام هارون. الطبعة الرابعة . دار المعارف . ١٩٧٧ ص٤٩٨ ، ويضيف ابن حزم أن بنى

بنو يفرن بدورهم الى عدة بطون وأفخاذ من أشهرها بنـــو واركوا ومرنجيصة[٣] • وقد أستقر بنو يفرن فى مناطق متعددة من بلاد المغرب، فنزل قسم منهم فى المنطقة الممتدة من غرب طرابلس حتى افريقية ، وتعرف فى المصادر العربية « بوطن زناتة »[٤] • وهذه المنطقة يغلب عليها الطابع الجبلى ، حيث توجد جبال دمر ونفوسة وغريان ، كما تكثر الكهوف والمغاور فى هذه الجبال[٥] • ويشير ابن خلدون الى منازلهم فى هذه المنطقة بقولة « وأما افريقية كلها الى طرابلس فبسائط فتح ، كانت ديارا لنفراوة وبنى يفرن ونفوسة ومن لا يحصى من قبائل البربر »[٦]•

= يفرن ومغراوة وبنى واسين اخوة أبوهم يصلتين بن مصرا ، فى حين يضم ابن خلدون اليهم بنى يرنيان بحيث يصبح عدد ابناء يصلتين بن مصرا اربعة، وذلك اعتمادا على ما ذكره نسابة البربر أمثال سابق بن سليمان المطماطى وهانىء بن يصدور الكومى وكهلان بن أبى لوا . راجع : ابن خلدون : المصدر السابق ج٧ ص ٥ ، كذلك انظر :

Encyclopedia of Islam, Art. Banù Ifran, by: T.Lewicki: (Leiden-London), 1971. Vol. III, P. 1039.

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ج٦ ص١٠٣ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ليدن ١٩٢٠ ، ص٢٢٤ — ابن خلدون : العبر : ج٧ ص٢ .

(٥) يذهب بعض الباحثين فى الدراسات الأنثروبولوجية الى ان اسم افرن أو يفرن الذى أطلق على تلك القبيلة مشتق من كلمة افرى البربرية ، وتعنى كهف أو مغارة ، وانهم سموا كذلك لسكناهم فى كهوف هذه المناطق الجبلية . راجع : E.I. art: Banu Ifran, Vol. III, P. 1039-1040.

(٦) ابن خلدون : المصدر السابق ج٦ ص١٠٣ .

واستقر بنو واركوا ومرنجيصة من بنى يفرن فى بلاد الجريد بقسطيلية وجبال الأوراس • كما استقرت طائفة من بنى يفرن فى منطقة الزاب، وتوطنوا بها حتى أجلاهم العرب الهلالية عنها فى القرن الخامس الهجرى (١١م) ، فرحلوا الى الصحراء الجنوبية ، ونزلوا بواحة ورقلة[٧] (أو ورجله أو ورجلان) •

أما القسم الأعظم من بنى يفرن فقد استقروا جنبا الى جنب مع بقية قبائل زناته فى جنوبى وهران وتلمسان حتى جبل بنى راشد من بلاد المغرب الأوسط ، وجاوروا قبائل مغراوة ومغيلة ومديونة وجراوة وكلها من زناته[٨] • وبالاضافة الى ذلك فقد استوطن قسم منهم فى المغرب الأقصى وخاصة فى منطقتى سلا على المحيط الأطلسى وتادلا وذلك فى القرن الرابع الهجرى[٩] •

---

(٧) الميلى : تاريخ الجزائر فى القديم والحديث . الجزائر ١٩٦٣ ج٢ ص١٧٤ •

(٨) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب . نشر البارون دى سلان . الجزائر ١٩١١ ص١٤٢ ، ابن خلدون : المصدر السابق ج٧ ص٨ ، الميلى : المرجع السابق ج٢ ص٨٧ •

(٨) يوجد فى المغرب الأقصى مركز حديث للسياحة يعرف باسم ايفرن ، يقع على ارتفاع ١٧٠٠ متر وسط غابات الارز الشهيرة بالمغرب تحيط به العيون المتدفقة وتتساقط به خلال فصل الشتاء ثلوج غزيرة تجعله مركزا عالميا لرياضة الانزلاق على الجليد ، ويقع على بعد ٢١ ك.م من الحاجب و ٧١ ك.م من فاس و٧٣ك.م من مكناس ، ولعل تسمية هذا الموقع باسم بنى يفرن لم يأت من فراغ ، ويرجع الى اصول تاريخية وجغرافية نتيجة لاستقرارهم فيه . راجع : الصديق بن العربى : كتاب المغرب . بدون تاريخ. الرباط ص٢٢ .

١ ـــ بنو يفرن منذ الفتح العربى حتى سقوط الدولة الأموية :

لعب بنو يفرن دورا بارزا فى أحداث الفتح العربى للمغرب ، فقد انضووا مع غيرهم من قبائل البربر البتر تحت لواء الكاهنة ملكة جبل الأوراس[١] ، والتى أخذت على عاتقها مهمة مقاومة الفتح العربى لبلاد المغرب عقب مصرع كسيلة بن لزم زعيم قبيلة أوربة البرانسية على يد زهير بن قيس البلوى عام ٦٩هـ/٦٨٨م . فقد اشترك اليفرنيون مع الكاهنة فى التصدى للفاتحين العرب بقيادة حسان بن النعمان ،

---

(١) ذكر ابن عذارى أن يفرن جد اليفرنيين هو فى نفس الوقت والد الكاهنة ، وهو قول غريب بعض الشىء ، لأن غالبية المؤرخين يذكرون أن الكاهنة كانت زعيمة لقبيلة جراوة البترية . ومن المحتمل أن يكون ما ذكره ابن عذارى صحيحا ، اذا اعتبرنا أن زعامة قبيلة جراوة انتقلت الى الكاهنة عقب وفاة زوجها ، ولا نستبعد أن تكون هذه المرأة كانت تنتسب الى بنى يفرن قبل أن تتزوج من زعيم قبيلة جراوة ، بدليل ان احد ولديهـــا اللذين استأمنا لحسان بن النعمان عقب مصرعها ، كان يسمى يفرن ، فاذا صح ما ذكره ابن عذارى ، فإن يفرن ابن الكاهنة قد تسمى على اسم جده لأمه. راجع : ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص٢١٦ . ليفى بروفنسال : نص جديد عن فتح العرب للمغرب . ترجمه الى العربية وعلق عليه د. حسين مؤنس . صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية . مدريد ١٩٥٤ . العدد ١ ـــ ٢ المجلد الثانى ص٢١١ ، ص٢٢٣ .

وتمكنوا من التغلب عليهم فى معركة وادى مسكيانة[٢] عام ٧٤هـ/٦٩٣م • بيد أن حسانا لم يلبث أن عاود الكرة على الكاهنة وحلفائها البربر — ومن بينهم بنى يفرن — وانتصر عليهم فى معركة بئر العطر عام ٨٢هـ/٧٠١م، ثم اقتحم جبل الأوراس ، وقتل عددا كبيرا من البربر ، فلما تم له استرداد المغربين الأدنى والأوسط ، قلد ولدى الكاهنة أمر جراوة التى ينتسبان اليها ، بالاضافة الى من انضوى اليهم بجبل الأوراس[٣] • ويغلب على الظن أن بنى يفرن دخلوا فى الاسلام شأنهم فى ذلك شأن بقية القبائل البربرية ، وأنهم بدأوا يتعربون ويتفهمون قواعد الدين الجديد نتيجة للجهود التى بذلها حسان بن النعمان ومن خلفه من الولاة المصلحين فى سبيل نشر الاسلام بين البربر •

---

(٢) هناك عدة تسميات لهـــذه المعركة ، فابن عبد الحكـــم والرقيق القيروانى يطلقان عليها معركة وادى او نهر البلاء (ابن عبد الحكم : المصدر السابق ص ٢٠٠ ، الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق المنجى الكعبى . تونس ١٩٦٧ . ص٥٦ — ٥٧) ، ثم يضيف الرقيق اسما آخر لهذه المعركة حيث يسميها معركة وادى العذارى نظرا لكثرة من قتل بها من زهرة شباب العرب . أما ابن الاثير فيطلق عليها معركة نهر نينى (الكامل فى التاريخ . طبعة بيروت ج٤ ص ١٨٠ حوادث عام ٧٤هـ) ، فى حين يذكر عبيد الله بن صالح أن أسمها معركة ترضى (ليفى بروفنسال : المرجع السابق ص٢٢٢) ، ولكن يبدو ان الاسم الذى اطلقه عليها ابن عذارى (وادى مسكيانه) هو الأصح (البيان المغرب ج١ ص٣٦) ، فقد ذكر البكرى (المغرب ص ٥٠) أن قرية مسكيانه تقع على نهر قريب من باغاية القريبة من جبل الأوراس . انظر كذلك د. سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى. الاسكندرية ١٩٧٩ ج١ ص٢٨٨ — عبد العزيز سالم : المغرب الكبـــير . الاسكندرية ١٩٦٦ ص٢٤٤ •

(٣) ابن خلدون : العبر ج٧ ص٩ •

غير أن عددا من عمال بنى أمية أساء الى البربر واصطنعوا معهم سياسة تقوم على العنف ، واستباحوا ديارهم ، وسبوا نساءهم ، وقد ساعد ذلك على تقبل البربر لمبادىء الخوارج الداعية الى المساواة بين المسلمين ، والثورة على النظام ، وهى مبادىء تسربت الى المغرب عن طريق بعض الدعاة المشارقة الذين وجدوا فى بلاد المغرب فى هذه الفترة أرضا صالحة لتقبل تلك الأفكار ، فالسياسة العنيفة التى اصطنعها ولاة الأمويين فى المغرب أثارت فى نفوس البربر الرغبة فى الثورة ضد العرب وممارساتهم القمعية . وقد اعتنق بنو يفرن المذهب الخارجى الصفرى، وضربوا فيه بسهم وانتحلوه وقاتلوا عليه[٤] . وبرز أبو قرة بن دوناس اليفرنى[٥] كأحد قادة البربر الذين شاركوا فى ثورات البربر ضد العرب. وقد تولى أبو قرة أمر بنى يفرن منذ عام ١١١هـ/٧٢٩م[٦] . ومن المرجح أن اليفرنيين شاركوا اخوانهم صفرية المغرب الأقصى فى ثوراتهم ضد السيادة الأموية ، واشتركوا معهم فى معركتى الاشراف (١٢٣هـ/٧٤٠م)

---

(٤) ابن خلدون : نفس المصدر ج٧ ص١١ .

(٥) ذكر ابن خلدون (ج٧ ص١٢) أن هناك اختلافا بين المؤرخين حول شخصية هذا القائد ، فالبعض ينسبه الى قبيلة مغيلة — احدى قبائل زناته — ، والبعض الآخر ينسبه الى يفرن . وقد ذكر الدكتور محمود اسماعيل أن سبب هذا الاختلاف حول اصل أبى قرة انما يرجع الى العرف الشائع عند البربر من انخراط القبائل تحت زعامة أكثرها قوة ونفوذا ، ولما كانت يفرن أشد قوة وجمعا من مغيلة — وفقا لرواية ابن خلدون — كما أن القبيلتين كانتا متجاورتين فى الموطن، فقد حدث اللبس حول أصل أبى قرة. راجع : محمود اسماعيل : الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى . القاهرة ١٩٨٦م . ص٧٧ .

(٦) E.I. art: Banu Ifran, Vol. III, P. 1039-1040.

وبقدورة (١٢٤هـ/٧٤١م) • وعلى الرغم من أن المصادر لم تشر صراحة الى اشتراك بنى يفرن فى هاتين المعركتين ، الا أن منطق الأحداث يدعونا الى الاعتقاد بانضمامهم الى جانب صفرية المغرب الأقصى حيث عملوا تحت قيادة خالد بن حميد الزناتى (قائد الخوارج الصفرية فى المعركتين السابقتين) ، كما أن أبا قرة اليفرنى هو الذى تولى رئاسة صفرية زناته عقب وفاة خالد بن حميد •

كذلك شارك اليفرنيون فى حصار مدينـــة القيروان عام ١٢٥هـ/ ٤٢ — ٧٤٣م ، وذلك حينما انضم أبو قرة اليفرنى الى جانب عبد الواحد بن يزيد الهوارى ، وأسندت اليه قيادة جيشه فى معركة الأصنام التى أوقع فيها حنظلة بن صفوان والى المغرب بالبربر الصفرية وهزمهم هزيمة شنعاء ، فر على أثرها مع فلول أصحابه الى تلمسان حيث أقام انتظارا لفرصة مواتية يشن فيها هجوما على العرب • ومما لاشك فيه أن وقعتى الأصنام والقرن حسمتا الموقف لصالح العرب وحالتا دون سقوط افريقية فى أيدى الخوارج الصفرية ، ومع ذلك فقد بدا واضحا أن هؤلاء الصفرية يشكلون خطرا كبيرا على السيادة العربية فى المغرب، ولهذا السبب حرص كل من تقلد ولاية افريقية على محاربتهم • بيد أن الظروف السياسية المضطربة التى مرت بها بلاد المغرب ابان الفترة الأخيرة من حكم الأمويين ، وبداية عصر العباسيين ، هيـــأت المجال للبربر لمواصلة شن هجماتهم على العرب • فقد انتهز أبو قرة اليفرنى فرصة استيلاء عبد الرحمن بن حبيب الفهرى (أحد أحفاد عقبة بن نافع الفهرى) على القيروان عام ١٢٩هـ/٧٤٦م ، واقدامه على طرد حنظلة بن صفون والى افريقية الشرعى ، وثار هو وجموع اليفرنيين بتلمسان ، ولم يتمكن عبد الرحمن بن حبيب من القضاء على هذه الثورة الا عام

١٣٥هـ/٧٥٢م عندما ألحق هزيمة ساحقة بأبى قرة وجموع اليفرنيين[٧].
ولكن هذه الهزيمة لم تحل دون استمرار اليفرنيين فى ثوراتهم ضد العرب ، فتحالف عبد الملك بن أبى الجعد اليفرنى — أحد زعماء بنى يفرن — مع عاصم بن جميل زعيم قبيلة ورفجومة الصفرية ، واشتركا سويا فى مهاجمـة القيروان عام ١٣٩هـ/٧٥٦م ، وتمكنا من الاستيلاء عليها ، ولما اضطر عاصم بن جميل الى الخروج بقواته لتتبع حبيب بن عبد الرحمن الفهرى[٨] بنواحى قابس وجبل الأوراس ، استخلف على القيروان حليفه عبد الملك اليفرنى . ثم تولى عبد الملك بن أبى الجعد اليفرنى زعامة صفرية افريقية عقب مصرع عاصم بن جميل ، وفى فترة رئاسته للصفرية ، ارتكب هؤلاء العديد من الجرائم والفظائع ضد أهل القيروان ، الأمر الذى أثار سخط الخوارج الاباضية بطرابلس ، فعقدوا العزم على تخليص القيروان من عبد الملك اليفرنى وأتباعه الصفرية . وفى شهر صفر عام ١٤١هـ/يونيو — يوليو ٧٥٨م ، دارت معركة ضارية على مقربة من القيروان ، لقى فيها عبد الملك مصرعه ، وانتهت بانتصار

---

(٧) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق اكرم العمرى . بغداد ١٩٦٧ ج٢ ص٤١١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص٦١ .

(٨) حبيب بن عبد الرحمن الفهرى هو احد ابناء عبد الرحمن بن حبيب الفهرى مؤسس امارة الفهريين فى افريقية ، والتى دام سلطانها من عام ١٢٩هـ حتى ١٤٠هـ . ولمزيد من التفاصيل حول هذه الامارة الفهرية راجع : الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص١٢٣ وما بعدها ، ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص١١٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٦٠ وما بعدها . سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ج١ ص٣١٣ — ٣٣٩ . رضـوان البارودى : الفهريون فى المغـرب والأندلس ودورهم السياسى والحضارى . الاسكندرية ١٩٨٦ ص ١٠ — ١٧ .

ساحق أحرزه الاباضية على الصفرية وقتل عدد كبير منهم[٩] .

٢ — تأسيس أول أمارة يفرنية مستقلة فى تلمسان فى بداية العصر العباسى :

نتيجة للهزيمة التى لحقت ببنى يفرن والصفرية ، اضطر أبو قرة اليفرنى الى الاستقرار فى موضع يقع قريبا من مدينة تلمسان الحالية[١٠] أخذ فى تمصيره وتعميره وحاطه بسور منيع[١١] ، واتخذ من هذا الموضع قاعدة لامارة صفرية مستقلة فى تلمسان اتسع نطاقها مع مضى الزمن ، اذ تمكن من ضم صفرية المغرب الأدنى الى جانبه بالاضافة الى قبيلة مغيلة وكذلك الشريط الساحلى الغربى الممتد من المغرب الأوسط حتى المنطقة التى تلى تامسنا بالمغرب الأقصى[١٢] . وأثار قيام امارة صفرية

---

(٩) أبو زكريا : كتاب سير الأئمة واخبارهم . تحقيق اسماعيل العربى. الجزائر ١٩٧٩ ، ص٣٩ — ٤١ — ابن عذارى : المصدر السابق ج١ ص ٧٠ — ٧١ ، ابن خلدون : العبر ج٦ ص١١٢ .

(١٠) تلمسان Tlemcen : مدينة بغرب القطر الجزائرى ، وصفها الجغرافيون بأنها قاعدة المغرب الأوسط ، وهى دار مملكة زناته حيث يسكن حولها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر ، وكانت كثيرة الخصب والرخاء ، وأصبحت فى القرن السابع الهجرى عاصمة لدولة بنى زيان . انظر : البكرى : المغرب ص٧٦ — الحميرى : الروض المعطار ص ١٣٥ .

(١١) ذكر البكرى أن لمدينة تلمسان خمسة أبواب وان أحد أبوابها (وهو الباب الغربى) كان يسمى باب ابى قرة نسبة الى أبى قرة اليفرنى. ص٧٦ — ٧٧ .

(١٢) مؤلف مجهول : مفاخر البربر نشر ليفى بروفنسال . الرباط ١٩٣٤ ، ص٤٩ كذلك انظر : محمود اسماعيل : المرجع السابق ص٧٧ .

بالمغرب الأوسط قلق الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور (١٣٦ — ١٤٥هـ/٧٥٣ — ٧٦٢م) الذى كان يدرك تماما أن هؤلاء الصفرية يتأهبون لجولة تالية مع عرب افريقية ، ولما كان المنصور حريصا على بسط نفوذ الخلافة العباسية على افريقية ، فانه لم يتردد فى تسيير قواته من الاسكندرية الى افريقية ، فأرسل جيشا عدته أربعون ألف مقاتل وثمانية وعشرين قائدا يتقدمهم محمد بن الأشعث الخزاعى والیه على مصر وذلك عام ١٤٤هـ/٧٦١م ، الذى أسند اليه المنصور مهمة القضاء على ثورات الخوارج سواء من الصفرية أو الأباضية . وعلى الرغم من النجاح الذى حققه ابن الأشعث الخزاعى فى هذا المجال ، الا أنه لم يمكث طويلا بافريقية ، اذ ثار عليه بعض قواد جيشه وأرغم فى نهاية الأمر على اعتزال الولاية وذلك عام ١٤٨هـ/٧٦٥م[١٣] .

استغل بنو يفرن فرصة اضطراب أحوال جند العباسيين بافريقية وانقسامهم ، وبايعوا أبا قرة اليفرنى اماما عليهم (عام ١٤٨هـ) ، ثم خرجوا فى حشود هائلة نحو القيروان فى عام ١٥٠هـ/٧٦٧م بغية القضاء على الحكم العباسى ، وآثر الأغلب بن سالم التميمى والى افريقية الجديد أن يخرج بقواته لمواجهة هذا الخطر ، وزحف بهذه القوات الى الزاب ، فاضطر أبو قرة الى الانسحاب غربا الى تلمسان ، اما لأنه خشى أن يتمكن الأغلب التغلب عليه لتفوق قواته فى العدد وقربها من القيروان — قاعدتها فى افريقية — ، أو لأنه أراد أن يستدرج الأغلب بن سالم الى معاقل الخوارج الصفرية فى العمق المغربى سواء فى المغرب الأوسط أو المغرب الأقصى وهناك يصبح فى امكانه سحق القوات

---

(١٣) ابن عذارى : المصدر السابق ج١ ص٧٣ .

العباسية[١٤] . وكيفما كان الأمر ، فان الأغلب أراد الاندفاع وراء أبى قرة اليفرنى بغية القضاء على الصفرية فى عقر دارهم سواء فى تلمسان أو فى طنجة[١٥] ، ولكن قادة جيشه اعترضوا على ذلك وقالوا له « قد هرب أبو قرة الذى خرجنا اليه » ، وأخذوا يتسللون من معسكره عائدين الى القيروان ، ولم يبق مع الأغلب الا نفر يسير ، فعاد أدراجه الى القيروان ، حيث لقى مصرعه فى نفس العام (١٥٠هـ)[١٦] . أما أبو قرة فقد أقام بحشوده فى تلمسان يعد العدة لجولة تالية .

خلف الأغلب على افريقية قائد عرف بشجاعته المفرطة هو عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة (أخى المهلب بن أبى صفرة) ولقب بهزار مرد (ومعناها بالفارسية ألف رجل) لشدة بأسه وشجاعته النادرة ، اختاره المنصور بالذات لقدراته العالية فى قمع الحركات الثورية وتجاربه الموفقة مع الخوارج الأزارقة فى المشرق ، وحرصه على نشر الأمن فى كل أنحاء المغرب[١٧] . ومن الجدير بالملاحظة أن فرقتى الاباضية والصفرية فى المغرب تضامنتا لاعلان الثورة على العباسيين فى المغرب ، فقد ثار من الاباضية كل من أبى حاتم يعقوب بن حبيب بن مدين (امام الاباضية عقب وفاة امامهم عبد الأعلى) بنواحى طرابلس[١٨] ، وعاصم السدراتى

---

(١٤) محمود اسماعيل : المرجع السابق ص ١٠٠ — ١٠١ .

(١٥) ابن خلدون : ج٦ ص١١٢ .

(١٦) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص٥٨٦ — ابن الابار : الحلة السيراء: نشر حسين مؤنس . القاهرة ١٩٨٥ ج١ ص ٧٠ — ٧١ .

(١٧) نلاحظ أن عمر بن حفص من أسرة المهلب بن أبى صفرة التى اشتهرت بحروبها ضد الخوارج الأزارقة فى بلاد المشرق أثناء عصر الدولة الأموية .

(١٨) ابن خلدون : ج٦ ص١١٢ .

الاباضى فى ستة آلاف رجل[19] ، وعبد الرحمن بن رستم فى خمسة عشر ألف رجل[20] ، والمسور بن هانىء الزناتى فى عشرة آلاف من الاباضية، ومن الصفرية كل من عبد الملك بن سكرديد الصنهاجى فى ألفين ، وجرير بن مسعود وأتباعه من قبيلة مديونة ، وأبى قرة اليفرنى فى أربعين ألفا من قومه وغيرهم • وقد اتجه هؤلاء الثوار جميعا الى مدينة طبنه[21] — عاصمة الزاب — وحاصروا عمر بن حفص ، الذى اتفق وجوده بها فى هذه الآونة للاشراف على تحصيناتها وتفقد مسالحها وتعهدها بالعناية بناء على أوامر تلقاها من الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور الذى أراد أن يجعل من هذه المدينة وما حولها من حصون سدا منيعا أمام أى عدوان يوجه اليها من المغرب الأوسط • ولما كانت مدينة طبنة تقع على الطريق الرئيسى المؤدى الى تلمسان مقر امارة بنى يفرن الصفرية، فقد اعتبر اليفرنيون ما يقوم به عمر بن حفص عملا عدائيا موجهـا ضدهم ، ولذلك قرر أبو قرة أن يتحد مع الاباضية لمواجهة عدوهما

(١٩) ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص ٧٥ •

(٢٠) هذا الرقم ذكره كل من ابن الاثير (الكامل ج ٥ ص٥٩٩) ، وابن عذارى (ج١ ص ٧٥) ، أما ابن خلدون (نفس المصدر والصفحة) فقد ذكر أن عدد جند عبد الرحمن بن رستم بلغ ستة آلاف فقط .

(٢١) طبنه Tobna (بضم الطاء وسكون الباء وفتح النون) : عاصمة بلاد الزاب ومقر الولاة ، وتقع فى وسط الزاب الممتد من جنوب قسنطينة فى الجزائر ، وصفها الادريسى بأنها مدينة حسنة كثيرة الماء والبساتين الزرع، وعليها سور من تراب ، وبها صنائع وتجارة ، ويعمل أهلها كذلك بالتجارة ، ويجنون من ورائها أموالا طائلة . الادريسى : نزهة المشتاق ج١ ص٢٦٣ ، البكرى : المغرب ص ٥٠ — الاستبصار لمؤلف مجهول نشر سعد زغلول عبد الحميد . الاسكندرية ١٩٥٨ ص١٧٢ — الحميرى : الروض المعطار ص٣٨٧ •

المشترك[٢٢] ، واستغل الخوارج تفوقهم العددى على قوات عمر بن حفص التى لم تكن تتجاوز خمسة عشر ألفا لتوجيه ضربتهم • وعندما أدرك عمر بن حفص أنه لا قبل له بكل هذه الحشود ، قرر أن يستخدم سلاح المال للخروج من هذا المأزق الصعب الذى وجد نفسه فيه ، لاسيما فى هذه الظروف السياسية الحرجة التى سادت المغربين الأدنى والأوسط منذ سقوط الخلافة الأموية ، هذا الاضطراب السياسى انعكست آثاره على الناحية الاقتصادية فى المغرب ، فقد كثرت المجاعات ، وعم القحط فى البلاد ، وعانى البربر كثيرا من ضروب البؤس والفقر[٢٣] • ويذكر المؤرخون أن عمـــر بن حفص بعث مع رجل من قبيلة مكناسة يدعى اسماعيل بن يعقوب أربعين ألف درهم وكسى كثيرة[٢٤] الى أبى قرة اليفرنى نظرا لكثرة أصحابه وخطورتهم ، على شريطة أن ينسحب هو وقومه ومن انضم اليه من الخوارج الصفرية والاباضية من مواقعهم أمام طبنة ، ولكن أبا قرة اعتبر هذا العرض السخى رشوة ، رفض

---

(٢٢) عوض خليفات : نشأة الحـــركة الاباضية • عمان ١٩٧٨ • ص ١٦٠ •

(٢٣) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص٣٥٢ •

(٢٤) اختلف المؤرخون حول مقدار الرشوة التى عرضها عمر بن حفص على ابى قرة اليفرنى ، فالرقم المذكور فى المتن ذكره كل من ابن خلـــدون (العبر ج٧ ص١٢) والنويرى (نهـــاية الأرب • القسم الخاص بالمغرب والأندلس ، نشره د. مصطفى أبو ضيف • الدار البيضاء • ١٩٨٤ ص٢٤٣) اما ابن الأثير (الكامل ج ٥ ص٥٩٩) فذكر أن مقدارها كان ستين ألفا ، فى حين أن ابن عذارى لم يحدد مبلغا معينا ، واكتفى بالقول بأن عمر بن حفص وجه الى أبى قرة مالا كثيرا وكسى على أن ينصرف عنه • (البيان المغرب ج١ ص٧٦) •

قبولها وقال لاسماعيل المكناسى : « بعد أن سلم على بالخلافة أربعين سنة أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا ؟ لا حاجة لى به »[٢٥] . وازاء رفض أبى قرة قبول الأموال ، عرض اسماعيل المكناسى أربعة آلاف درهم فقط على ابنه (وقيل أخيه) نظير انسحابه من موقعه أمام طبنة هو ومن معه من بنى يفرن ، ولم يتردد ابن أبى قرة فى الاستجابة لذلك، وشرع من ليلته فى اقناع زعماء بنى يفرن بالانسحاب ، « فلم يعلم أبو قرة حتى انصرف عنه أكثر أهل العسكر فلم يجد بدا من اتباعهم »[٢٦] .

أدى انسحاب اليفرنيين من مواقعهم أمام طبنة الى انقسام الخوارج وتفككهم وتفرق كلمتهم ، وتمكن عمر بن حفص من الخروج من طبنة بعد أن ترك عليها أحد قادته وهو المهنا بن المخارق بن غفار

(٢٥) ابن الأثير : نفس المصدر السابق والصفحة — ابن عذارى : المصدر السابق والصفحة .

(٢٦) الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ص١٤٣ — ابن عذارى : نفس المصدر والصفحة . النويرى : نفس المصدر ص٢٣٤ . هذا ويشكك الدكتور محمود اسماعيل (الخوارج ص٧٩ — ٨٠) فى مسألة الرشوة التى عرضها عمر بن حفص على زعيم بنى يفرن ، ويبرر انسحاب أبى قرة من أمام طبنه بأن خلافا قد وقع بين اليفرنيين والاباضية ، لأن تعاونهما فى بلاد المغرب — على حد قوله — ليس مألوفا ، وأن الفرقتين الخارجيتين كانتا على خصومة وعداء كثيرا ما وصل الى درجة الصراع والتناحر . بيد اننا نرى انه ليس هناك ما يمنع من عرض عمر بن حفص الأموال سواء على ابى قرة نفسه أو على ابنه ، طالما سيؤدى ذلك الى رفع الحصار عن طبنه ، كما أن مسألة الخلاف بين الاباضية والصفرية ليس مبررا لعدم تعاونهما ضد عدوهما المشترك ، والا بماذا نفسر اشتراك أبى قرة وبنى يفرن فى حصار طبنة ، ثم اشتراكهم مع الاباضية بعد ذلك فى حصار القيروان ؟ .

الطائى • بيد أن أبا قرة لم يلبث أن عاود حصار طبنة من جديد بعد أن رحل عنها أبو حفص لمحاربة أبى حاتم الاباضى وأصحابه • ويشير الرقيق القيروانى الى أن المهنا بن المخارق توسل بنفس الوسيلة التى اتبعها عمر بن حفص مع أبى قرة ، وهى اغراء أبى قرة بقدر كبير من المال ، فأرسل اليه يطلب منه الانصراف عنه ، فرد عليه أبو قرة بقوله « نصيبى منك ومن قبيلك أحرار ، ولكــن لا سبيل الى ترك غنيمــة المسلمين »[٢٧] • واضطر المهنا بن المخارق الى خوض معركة عنيفة مع اليفرنيين انتهت بانتصاره عليهم فى عام ١٥٤هـ/٧٧١م •

ولم تحل هزيمــة اليفرنيين أمام طبنة عن مشاركتهم للخوارج الاباضية والصفرية فى حصار عمر بن حفص بالقيروان[٢٨] ، فقد خرج أبو قرة اليفرنى على رأس أربعين ألف من بنى يفــرن متجها نحو القيروان ، حيث انضم الى جيوش الخوارج الأخرى ، وأحكم الجميع

(٢٧) الرقيق القيروانى : المصدر السابق ص١٤٣ •

(٢٨) اختلف المؤرخون حول أعداد الخوارج الذين حاصروا عمر بن حفص فى القيروان ، فالرقيق القيروانى (ص١٤٤) وابن عذارى (البيان المغرب ج١ ص٧٦) ذكرا أولا أن عددهم بلغ مائة وثلاثين الفا ، وهو رقم يبدو معقولا، ولكنهما عادا وذكرا أن عددهم بلغ ثلاثمائة وخمسين الفا (الرقيق ص ١٤٥ ، ابن عذارى : ج١ ص٧٧) . وقد ذكر نفس الرقم الأخير (٣٥٠ الف) كل من الطبرى (تاريخ الأمم والملوك ج٨ ص٤٢) وابن خلدون (العبر ج٧ ص١٢) والنويرى (نهاية الأرب ص٢٣٦) . كذلك وقع الاختلاف بينهم حول تقدير عدد الفرسان فى هذا الجيش ، فالمقل منهم ذكر خمسة وثلاثين الفا (ابن عذارى : نفس المصدر والصفحة — النويرى : نفس المصدر والصفحة ، أما المكثر فذكر خمسة وثمانين الفا (الطبرى : نفسه — الرقيق القيروانى : ص ١٤٥ — ابن خلدون : نفس المصدر والصفحة) ويبدو لنا أن رقم ٣٥ الفا مقبولا .

الحصار عليها وانتهى هذا الحصار بمصرع عمر بن حفص فى منتصف ذى الحجة عام ١٥٤هـ/نوفمبر ٧٧١م ، وسقوط القيروان فى يد أبى الخطاب الاباضى • ولكن سيطرة الخوارج على القيروان لم تستمر طويلا ، فقد تمكن يزيد بن حاتم المهلبى والى افريقية الجديد من الحاق الهزيمة بهم فى معركة شرسة قتل فيها أبو حاتم امام الاباضية ، ويذكر ابن خلدون أن أبا قرة اضطر الى العودة الى موطنه بتلمسان بعد أن لقى هزيمة منكرة على أيدى جيوش يزيد بن حاتم « ولم يكن لبنى يفرن من بعدها انتقاض »[٢٩] •

٣ — العلاقات بين بنى يفرن ودول المغرب منذ منتصف القرن الثانى الهجرى :

أ — مع بنى رستم أصحاب تاهرت :

لاشك أن الضربات العنيفة التى وجهها يزيد بن حاتم لبنى يفرن دفعتهم الى التزام الهدوء والجنوح الى السلم ، كما أدت الظروف الجديدة التى طرأت على بلاد المغرب الى تغير كبير فى سياسة بنى يفرن، فقد استطاع عبد الرحمن بن رستم أن يؤسس دولة اباضية فى المغرب الأوسط ، واتخذ من مدينة تاهرت عاصمة لدولته ، وبذلك أصبح مجاورا لامارة بنى يفرن فى تلمسان • ويبدو أن سياسة حسن الجوار هى التى حكمت العلاقة بين اليفرنيين والرستميين ، وتشير المصادر الى أن عبد الرحمـــن بن رستم تزوج من امـــرأة يفرنيـــة أنجبت له ولده عبد الوهاب[٣٠] • ويذكر بعض مؤرخى الاباضية أن عبد الرحمن بن

---

(٢٩) ابن خلدون : ج٧ ص١٢ .

(٣٠) أشـار T. Lewicki الى أن هذا الزواج قد تم حوالى عام ١٤٨هـ استنادا الى أن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم عند وفاة أبيه فى عام

رستم عندما أحس بدنو أجله ، حذا حذو عمر بن الخطاب ، فاختار ستة نفر من أصحابه أضاف اليهم ولده عبد الوهاب ليختار الاباضية منهم خلفا له[٣١] ، ومن بين هؤلاء الستة أبو قدامة يزيد بن فندين اليفرنى الذى لعب دورا كبيرا فى ترشيح عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم لامامة الرستميين ، فقد انحصر هذا المنصب فى شخصين اثنين : عبد الوهاب ومسعود الأندلسى . ويذكر أبو زكريا[٣٢] أن أبا قدامة يزيد بن فندين لما تعذر له ترشيح نفسه للامامة ، عمل على تولية عبد الوهاب وقال « هو أقرب منا رحما من غيره ، ولعل ذلك أن يعطفه علينا ، لأن أم عبد الوهاب يفرنية ، فرجوا فيه أن يؤثرهم فى الأمور لأنه ابن أختهم ، فقام أبو قدامة فى نفر من أصحابه فأبوا الا مبايعة عبد الوهاب للمناسبة التى بينهم ، فطمعوا أن يؤثرهم على غيرهم » . ومن الواضح أنه كان للعصبية القبلية دورها فى مسألة اختيار امام الرستميين الجديد[٣٣] ، وأن يزيد بن فندين كان يطمع أن يحظى بقدر

١٧٦هـ/٧٨٥م كان شابا يافعا ، واحد سبعة أفراد رشحهم عبد الرحمن بن رستم لخلافته . E.I, art Banu Ifran.

(٣١) هؤلاء الستة هم : أبو قدامه يزيد بن فندين اليفرانى ، عمران بن مروان الاندلسى ، أبو الموفق ، سعدوس بن عطية ، بكر بن صالح الكتامى ، مصعب بن سدمان . ونلاحظ ان من بين هؤلاء الستة اثنان اندلسيان ، ولعل هذا يفسر لنا سياسة الولاء لبنى أمية فى الاندلس التى سار عليها الرستميون منذ بداية دولتهم . راجع : أبو زكريا : المصدر السابق ص٥٤ — ٥٥ .

(٣٢) سير الأئمة ص٥٦ — الدرجينى : طبقات اشايخ بالمغرب : تحقيق ابراهيم كلاى . قسنطينة . ١٩٧٤ ج١ ص٤٧ .

(٣٣) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ج٢ ص٣١٢ .

كبير من النفوذ فى الدولة ، ولكن عبد الوهاب جمع كل السلطات فى يديه ، مما أثار ضيق ابن فندين ومن معه من بنى يفرن ، وحملهم ذلك على اثارة المشاكل فى وجه عبد الوهاب[٣٤] ، وانتهى الأمر باعلان ابن فندين الثورة على الامام ، وحدث ما تسميه كتب الاباضية بالانشقاق أو الافتراق الأول ، وظهور فرقة النكارية الذين أنكروا امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم • ويشبه هذا الافتراق ما يعرف عند الشيعة بالانقسام المذهبى الى فرقتين كالنزارية والمستعلية • وتجمع أنصار ابن فندين من بنى يفرن بالاضافة الى بعض العناصر الاباضية فى كدية تقع خارج تاهرت تعرف بكدية النكار[٣٥] ، وبعد عدة مناوشات بسيطة اتفق الطرفان على عرض مسألة الخلاف بينهما على اخوانهم من علماء المذهب بالمشرق وخاصة مصر ومكة • وتشير المصادر الاباضية الى أن شعيبا بن المعرف المصرى أيد وجهة نظـــر ابن فندين اليفرنى ، بل واشترك معه فى ثورته التى أعلنها ضد الامام عبد الوهاب ، منتهزين فرصة خروجه من تاهرت لبعض شئونه، ولكن الأمير أفلح بن عبد الوهاب تمكن من اخماد ثورة النكارية من بنى يفرن بعد أن قتل عددا كبيرا منهم بلغ حوالى اثنى عشر ألفا من بينهم ابن فندين نفسه وذلك عام ١٨٨هـ/٨٠٣م[٣٦] •

---

(٣٤) اثار ابن فندين مسألة استبداد الامام بالسلطة ، واشترط ضرورة الا يقطع الامام أمرا دون مشورة كما كان الحال فى عهد عبد الرحمن ، ولكن غالبية فقهاء الاباضية انكروا هذا الشرط . ابو زكريا : ص٥٨ — ٥٩ .

(٣٥) ابن الصغير : اخبار الائمة الرستميين . تحقيـــق محمد ناصر وابراهيم بحاز . بيروت ١٩٨٩ ص ٥٠ .

(٣٦) أبو زكريا : المصدر السابق ص٦٣ — الدرجينى : المصدر السابق: ج١ ص٥٤ — ولمزيد من التفاصيل حول ثورة ابن فندين راجع : محمـــود

ب — مع الأدارسة :

يذكر المؤرخون أن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فر من مكة بعد أن هزم العباسيون الحسنيين فى موقعة فخ عام ١٦٩هـ/٧٨٦م الى المغرب الأقصى ، وهناك تمكن من تأسيس دولة علوية فى منطقة السوس الأدنى بعد أن بايعته قبيلة أوربة البرانسية بزعامة عبد الحميد الأوربى ، واتخذ الامام ادريس من مدينة وليلى Volubilis مقرا له وذلك عام ١٧٢هـ/٧٨٨م . وبعد أن تمكن ادريس من بسط سلطانه على القبائل المحيطة بمنطقة السوس الأدنى ، عمل على اخضاع منطقة تامسنا ، فدخل فى صراع عنيف مع بنى طريف ملوك برغواطة المقيمين فى هذه المنطقة ، وتمكن بعد حروب عنيفة من السيطرة على بلاد تامسنا بالاضافة الى اقليم تادلا(٣٧) . واتجهت أنظاره بعد ذلك الى المغرب الأوسط وخاصة منطقة تلمسان حيث قبائل بنى يفرن ومغراوة . والواقع أن الأمارة التى كونها أبو قرة اليفرنى فيما يقرب من منتصف القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) كانت قد تفككت منذ سنوات ، وفقد اليفرنيون سيطرتهم على تلمسان بعد أن تغلب بنو خزر المغراويون عليهم فى عام ١٧٣هـ/٧٨٩م . وعندما اتجه الامام ادريس الى تلمسان عام ١٧٣هـ ، بادر محمد بن خزر بن صولات المغراوى الى بذل طاعته وطاعة القبائل الزناتية التابعة له — ومن بينهم بنى يفرن — للامام ادريس ، فأمنهم ودخل مدينة تلمسان صلحا عام

= اسماعيل : المرجع السابق ص١٥٦ — ١٥٨ — سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ج٢ ص٣١٣ — ٣٢٣ .

(٣٧) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس . نشر تورنبرج . اوبسالا . ١٨٤٣م ص٧ — ابن خلدون : العبر ج٤ ص١٢ .

١٧٤هـ/٧٩٠م[٣٨] • ولم يسكت الامام عبد الوهاب بن رستم على ذلك، فحاول استعادة نفوذه فى منطقة تلمسان ، ولكنه عجز عن تحقيق ذلك، فاكتفى بتحريض أصهاره اليفرنيين ضد الأدارسة ، ولم تؤد ثورات اليفرنيين الى أية نتيجة ، بل على العكس من ذلك ، كانت حافزا لادريس الثانى لغزو بلاد المغرب الأوسط وتلمسان وذلك عام ١٩٨هـ/٨١٤م حيث تمكن من اخضاع بنى يفرن ، فدانوا له بالطاعة وأخلصوا له ونبـذوا مبادىء الخوارج[٣٩] • وبلغ من شدة تعلق بنى يفرن بالأدارسة أنهم حاولوا مع قبيلة مغراوة اقناع الرستميين بالدخول فى طاعة الأدراسة، وكان طبيعيا ألا يستجيب الرستميون لذلك[٤٠] ، وشنوا عدة هجمات على اليفرنيين والمغـراويين • ولم توضح لنـا المصادر نتائج هذه الاشتباكات الحربية ، ولكن يبدو أنها لم تسفر عن شىء ، واقتصر رد فعل الرستميين على مجرد غارات محدودة الأثر والنتائج قام بها أفراد من قبيلة نفوسة الموالية للرستميين ضد بنى يفرن[٤١] •

جـ — مع الفاطميين :

نجح الفاطميون فى اقامة امامة شيعية اسماعيلية لهم بافريقية عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م بفضل المساعدات القيمة التى قدمتها كتلة القبائل البرانسية (كتامة ثم صنهاجة) ، وتمكن الفواطم بفضل هذه المساعدات من القضاء على دول المغـرب التى كانت قائمة آنذاك مثـل الأغالبة والرستميين والمدراريين بسلجماسة • وعلى الرغم من قوة الفاطميين

(٣٨) البكرى : المغرب ص١١٨ — ابن ابى زرع : نفس المصدر ص٨ — ابن خلدون : ج٤ ص١٣ •

(٣٩) الجزنائى : زهرة الآس • نشر الفرد بل • الجزائر ١٩٢٢ ص٢٢•

(٤٠) ابن خلدون : ج٦ ص١٢١ — ١٢٢ — محمود اسماعيل: الخوارج: ص١٥٦ •

(٤١) الشماخى : السير ص١٩٧ — ١٩٨ •

العسكرية ، الا أن بلاد المغرب لم تصف لهم ، فقد واجهتهم قبيلة زناتة البترية — ومن بينهم بنو يفرن — والواقع أن وقوف بنى يفرن الزناتيين فى وجه الفاطميين كان له ما يبرره ، نظرا للاختلاف المذهبى بينهما ، فبنى يفرن كانوا خوارج ، والخوارج فى نظر الفقهاء كانوا من السنة[٤٢]، وعلى الرغم من أن اليفرنيين قد نبذوا المذهب الخارجى فى وقت سابق، وانضموا الى الأدارسة ، الا أن العصبيات القبلية كان لها دورها فى ترسيخ هذا العداء ، لأن اعتماد الفاطميين على قبائل البرانس من كتامة وصنهاجة ، كان من شأنه أن يثير قبائل البتر وعلى رأسها زناتة بحكم الصراع المستحكم بين البتر والبرانس • ولذلك فقد انضم بنو يفرن مع غيرهم من القبائل المناوئة للفاطميين الى جانب الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ — ٣٥٠هـ/٩١٢ — ٩٦١م) الذى كان يسعى هو الآخر الى مواجهة الخطر الشيعى فى بلاد المغرب[٤٣] • ويشير المؤرخ الأندلسى ابن حيان الى أن موسى بن أبى العافية المكناسى — الذى خلع طاعة الفاطميين وانضم الى الأمويين — استمال عددا كبيرا من قبائل المغرب ومن بينهم بنى يفرن الى طاعة الأمويين[٤٤] •

كذلك أشعل أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الخارجى (من بنى

---

(٤٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص٤٩٨ •

(٤٣) انظر مقالنا : التاريخ السياسى لمدينة سبتة منذ القرن الرابع الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى • المجلة التاريخية المصرية • المجلد ٣٦ عام ١٩٨٩م ص ٤٠ وما بعدها • كذلك انظر :

Levi Provençal, La Politica africana de Abd al-Rahman III, Revista Alandalus, 1946, Fasc-2-Madrid. P. 359.

(٤٤) راجع نص الرسالة التى بعث بها موسى بن أبى العافية الى الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر عام ٣٢٣هـ/٩٣٤م والتى ذكر فيها أسماء القبائل المغربية التى انضمت للأمويين ، ابن حيان : المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، الجزء الخامس ، نشر بدور شالميتا وآخرون • مدريد ١٩٧٩ ص ٣٧٠ •

واركوا أخوة مرنجيصة وهم من بطون بنى يفرن) نيران ثورة كبرى عصفت بالدولة الفاطمية وكادت تطيــح بها[٤٥] ، وقد لقى بنو يفرن مصاعب جمة من الفاطميين نتيجة لتأييدهم لثورة أبى يزيد مخلد ، وانضمام قسم منهم الى صفوف جيشه ، كما سهلوا له مهمة الاتصال بعبد الرحمن الناصر خليفة الأندلس • وعندما تمكن المنصور الفاطمى من القضاء على هذه الثورة عام ٣٣٦هـ/٩٤٧م ، تتبع قبائل بنى يفرن وأثخن فيهم وأهلك الكثير منهم[٤٦] •

كما تعرض محمد بن صالح أمير بنى يفرن لمؤامرة دبرها محمد بن خزر المغراوى وابنه الخير بالاشتراك مع عبد الله بن بكار اليفرنى[٤٧] ، وكان ابن خزر المغراوى يخشى من بطش المنصور الفاطمى ، فانضم اليه هو وقبيلته • ويبدو أن المنصور أوعز اليه بمهمة القضاء على محمد بن صــالح أمير اليفرنيين ، باعتبــارهم من أكثر العناصر معارضـــة

(٤٥) لن نخوض فى تفصيلات ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى نظرا لكثرة ما كتب عنها سواء من المؤرخين القدماء أو الحديثين ، ولكن يمكن الرجوع الى : ابن حماد : ملوك بنى عبيد وسيرتهم ص١٨ — ٣٠ — ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص٢١٦ — ٢٢٠ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا . تحقيق د. جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٦٧ ج١ ص ٧٥ وما بعدها — ابن خلدون : العبر ج٤ ص ٤٠ — ٤٤ ، ج٧ ص١٣ — ١٦ ومن المراجع الحديثة راجع : د. عبد العزيز سالم : المغرب الكبير : ص٦٢١ — ٦٣١ — د. مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى . بيروت ١٩٧١ ص٢٤١ — ٢٤٢ .

(٤٦) ابن خلدون : ج٧ ص١٧ .

(٤٧) كان عبد الله بن بكار اليفرنى قد انضم الى جانب المنصور الفاطمى، واقدم على قتل أيوب بن أبى يزيد مخلد بن كيداد الذى واصل الثورة ضد الفاطميين عقب مصرع أبيه . راجع : ابن حماد ، ملوك بنى عبيد . ص٣٩ .

للفاطميين . وبالفعل تمكن ابن خزر من اغتيال محمد بن صالح ، فخلفه ابنه يعلى بن محمد[٤٨] .

يعلى بن محمد أمير اليفرنيين :

يعتبر الأمير يعلى بن محمد من أكثر أمراء بنى يفرن قوة ونفوذا، وفى عهده بلغ اليفرنيون شأوا عظيما فى بلاد المغرب . وبدأ الأمير يعلى عهده بمهاجمة مدينة تاهرت بالاشتراك مع الخير بن محمد بن خزر المغراوى — الذى كان قد خلع طاعة الفاطميين — ، وتمكنت القبائل الزناتية من ايقاع الهزيمة بميسور الفتى والى تاهرت الفاطمى وقتله عام ٣٣٨هـ/٩٤٩م[٤٩] . وقد ألقى الخير بن محمد بن خزر القبض على عبد الله بن بكار اليفرنى ، وبعث به الى الأمير يعلى بن محمد ليثأر منه، ولكن يعلى احتقر شأن ابن بكار « ولا رآه كفؤا لعبده فكيف لوالده ، ودفعه المذكور الى رجل من البربر كان قد قتل ابنه فقتله به »[٥٠] .

عقب استيلاء بنى يفرن على تاهرت ، قام يعلى بن محمد بانشاء مدينة افكان[٥١] لتكون حاضرة لامارته ، كما قام بالدعوة للأمويين فى

(٤٨) ابن خلدون: ج٧ ص١٧ .

(٤٩) ابن عذارى : البيان المغرب ج٢ ص٢١٦ — ابن خلدون : نفس المصدر السابق والصفحة .

(٥٠) ابن عذارى : نفس المصدر والصفحة — ابن خلدون : نفسه .

(٥١) افكان : مدينة تقع بين تلمسان وتنس ، كانت سوقا قديمة من أسواق زناته ، ولما شرع يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى فى تعميرها عام ٣٣٨هـ ، رحل اليها نفر كبير من أهل تاهرت ووهران ، وكثرت فيها المساجد والفنادق ، واشتهرت افكان بكثرة أرحائها وحماماتها ، وكان عليها سور من الطوب ولكنه تهدم . راجع : ابن حوقل : صورة الأرض : بريل ١٩٣٨ ص ٩٠ — البكرى : المغرب ص٧٩ — الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . تحقيق مجموعة من العلماء . القاهرة : بدون تاريخ ج١ ص٢٥١ — الحميرى : الروض المعطار ص٥١ .

الأندلس نكاية فى الفاطميين . وقد كافأه الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر بأن أسند اليه ولاية المغرب وأعماله فى عام ٣٤٠هـ/٩٥١م ، فكانت ولايته تمتد ما بين تاهرت وطنجة ، ويذكر ابن الخطيب أن ملك يعلى بن محمد اتسع وشمل كل من تاهرت والمسيلة وتلمسان ومدينة البصرة[٥٢] بالاضافة الى افكان[٥٣] . كما طلب يعلى بن محمد من الناصر الأموى أن يولى أهل بيته على أمصار المغرب ، فولى الناصر محمد بن الخير بن محمد بن عشيرة على مدينة فاس ، ولكن محمدا هذا اعتزل الولاية ورحل الى الأندلس للرباط والجهاد ، فتولى أمر فاس ابن عمه أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عثمان ، وهو الذى بنى صومعة جامع القرويين فى عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م[٥٤] .

كما قام الأمير يعلى بن محمد بمهاجمة مدينة وهران[٥٥] ، فانتزعها من يد واليها محمد بن أبى عون ، وتشير المصادر الى أن يعلى دخل

---

(٥٢) البصرة : مدينة أثرية دارسة اسسها الادارسة فى القرن الثالث الهجرى (٩م) بين طنجة وفاس ، واشتهرت بكثرة عمرانها حتى القرن الرابع الهجرى ، وتعرف أيضا ببصرة الكتان لأن أهلها كانوا يشتغلون بتجارته ، كما تعرف أيضا بالحمراء لأن تربتها حمراء اللون . راجع : البكرى : المصدر السابق ص ١١٠ .

(٥٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام . تحقيق د. مختار العبادى وابراهيم الكتانى . الدار البيضاء ١٩٦١ ص١٦٤ .

(٥٤) ابن خلدون : العبر ج٧ ص١٧ ، وعن هذه الصومعة انظر : د. عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية ، ص ٤٢٠ ، ص٦٦٩ — ٦٧١ .

(٥٥) وهران : Oran مدينة ساحلية تقع فى غرب القطر الجزائرى، وتعتبر المنفذ البحرى لمدينة تلمسان . وكانت فى القديم مجرد قرية بربرية

مدينة وهران عنوة يوم السبت منتصف جمادى عام ثلاث وأربعين وثلاثمائة (٩٥٤م) . وفى ذى القعدة من العام نفسه ، نقل أهلها الى مدينة افكان ، وقام بحرق وهران وتخريبها ، واستمرت وهران خرابا يبابا طيلة عامين كاملين حتى بدأ الناس فى العودة اليها(٥٦) .

ويبدو أن يعلى بن محمد استشعر الخطر من ناحية الفاطميين خاصة بعد أن تولى المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ — ٣٦٥هـ/٩٥٢ — ٩٧٥م) الخلافة ، ولذلك عمل يعلى على مداراتهم ، ولا يستبعد أن يكون قد أعلن الدخول فى طاعتهم ، برغم أن فى عنقه بيعة للامويين ، ونستدل على ذلك من أن اسم يعلى بن محمد اليفرنى كان يرد كأحد ولاة المعز لدين الله على تاهرت وافكان ، يقول ابن خلدون : « واتسعت ايالته (يقصد المعز لدين الله) وكانت أعماله من افكان خلف تاهرت بثلاثة مراحل الى زناتة التى دون مصر ، وعلى تاهرت وافكان يعلى بن محمد وعلى أشير وأعمالها زيرى بن مناد الصنهاجى ... »(٥٧) .

خاملة الذكر اسمها افرى (بمعنى كهف) ، ولكن حدث فى أواخر القرن الثالث الهجرى (٩م) أن نزلها جماعة من البحريين الاندلسيين ، فعمروها واسسوا بها مدينة وهران . وقد أشار البكرى الى أن محمد بن أبى عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين اسسوها بالاتفاق مع قبيلتى نفزه وبنى مسفن من ازداجة وذلك عام ٢٩٠هـ/٩٠٣م . راجع : ابن حوقل : صورة الأرض ص٧٧ — ٧٨ — البكرى : المغرب ص ٧٠ — ٧١ .

(٥٦) البكرى : نفس المصدر والصفحة — الميلى : تاريخ الجزائر ج٢ ص١١٩ .

(٥٧) ابن خلدون : ج٤ ص٤٦ . انظر كذلك : القاضى النعمان : المجالس والمسايرات . تحقيق ابراهيم شبوح وآخرون . تونس ١٩٧٨ ص٢١٧ حيث يفهم مما اورده القاضى النعمان أن يعلى بن محمد اليفرنى كان من ضمن الولاة الفاطميين .

بيد أن الوفاق بين اليفرنيين والفاطميين لم يطل أمده ، فقد عاد يعلى بن محمد الى بذل الطاعة للأمويين بالأندلس ، ورأى المعز لدين الله أن نفوذ الفاطميين فى بلاد المغرب أصبح معرضا للضياع خاصة بعد أن أعلن الشاكر بالله المدرارى صاحب سجلماسة الثورة ضد الفاطميين، ولذلك سير فى عام ٣٤٧هـ/٩٥٨م قائده الشهير جوهر على رأس جيش كبير الى المغرب لاعادة النفوذ الفاطمى هناك ، وخرج مع جوهر كل من زيرى بن مناد الصنهاجى أمير أشير وجعفر بن على أمير المسيلة . وتختلف المصادر فيما بينها حول تفصيلات الصراع بين يعلى بن محمد اليفرنى وجيوش الفاطميين ، فابن الأثير يذكر أن جوهرا سار الى تاهرت « فحضر عنده يعلى بن محمد الزناتى ، فأكرمه وأحسن اليه ، ثم خالف على جوهر ، وثار أصحابه ، وقتلهم جوهر ، فانهزموا وتبعهم جوهر الى مدينة افكان ، فدخلها بالسيف ونهبها ، ونهب قصور يعلى وأخذ ولده وكان صبيا ، وأمر بهدم افكان واحراقها بالنار وكان ذلك فى جمادى الآخر »[٥٨] (٣٤٧هـ) . أما ابن خلدون فيذكر أن جوهرا لما فصل بالجنود من المهدية بادر يعلى بن محمد أمير زناتة بالمغرب الى لقائه « والاذعان لطاعته والانحياش اليه ونبذ عهد البيعة عن قومه بنى يفرن وزناتة ، فتقبلها جوهر ، وأضمر الفتك به ، وتخير لذلك يوم فصوله من بلده ، وأسر الى بعض مستخلصيه من الأتباع ، فأوقعوا نفرة فى أعقاب العسكر طار اليها الزعماء من كتامة وصنهاجة وزناتة ، وتقبض على يعلى فهلك فى وطيس تلك الهيعة ، فغص بالرماح على أيدى رجالات كتامة وصنهاجة وذهب دمه هدرا فى القبائل وخرب جوهر مدينة افكان »[٥٩] . ويضيف ابن خلدون أن جوهرا ألقى القبض على يدو بن يعلى وأخذه أسيرا . ويفهم مما أورده ابن خلدون أن يعلى أراد مداراة

---

(٥٨) ابن الأثير : الكامل ج٨ ص٥٢٤ .

جوهر لأنه أدرك أنه لا قبل له بجيوش الفاطميين ، ولكن جوهرا الذى كانت لديه تعليمات — فيما يبدو — من المعز لدين الله بالقضاء على معارضيه ، دبر مؤامرة لاغتيال يعلى وتفريق دمه على القبائل . ويؤيد ابن عذارى نفس الرواية فيقول « وفى جمادى الآخرة منها (٣٤٧هـ) ورد كتاب قائد الأسطول « قائد الأسطول الأموى » أحمد بن يعلى من مدينة آسلان من عمل تلمسان ، يذكر أن جوهرا قائد معد بن اسماعيل صاحب افريقية قتل يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى صاحب مدينة افكان غدرا »[٦٠] . أما ابن أبى زرع — ويتفق معه صاحب كتاب مفاخر البربر — فيذكر أن يعلى بن محمد جمع جيوشا عظيما من قبائل زناتة، واشتبك مع الجيش الفاطمى على مقربة من مدينة تاهرت « فاقتحم الحرب بين الفريقين ، فأخرج القائد جوهر الأموال وبذلها لقواد كتامة فضمنوا له قتل أمير زناتة يعلى بن محمد اليفرنى ، فلما اشتد القتال صممت عصابة من أنجد قواد كتامة وأنجادها ، وقصدوا الى يعلى بن محمد أمير بنى يفرن فقتلوه وأخذوا رأسه وأتوا به الى جوهر فأعطاهم أموالا جليلة بشرة عليه ، وبعث بالرأس الى مولاه معد بن اسماعيل فطوفه بالقيروان ... »[٦١] . كما يتفق القاضى النعمان مع ابن أبى زرع فى مسألة ارسال رأس يعلى بن محمد الى الخليفة المعز لدين الله ، ولكنه يضيف أن جوهرا أرسل كذلك رأس أخى يعلى الذى قتل هو الآخر فى المعركة[٦٢] .

---

(٥٩) ابن خلدون : ج٧ ص١٨ .

(٦٠) ابن عذارى : البيان المغرب ج٢ ص٢٢٢ .

(٦١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص٥٥ — مؤلف مجهول : مفاخر البربر ص ٥ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (نشر د. العبادى) ص ٢٢٠ .

(٦٢) القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ص ٢٧٥ .

(٦٣) ذكر القاضى النعمان (المصدر السابق ج٢١٧) أن بعض أهل

وكيفما كان الأمر ، فقد أدى مصرع يعلى بن محمد الى تفرق شمل اليفرنيين ، فقد رحل قسم منهم الى بلاد الأندلس(٦٣) عقب هذه الهزيمة ، فى حين بقى القسم الآخر فى بلاد المغرب وتولى أمرهم يدو بن يعلى .

يدو بن يعلى : زعيم جديد لبنى يفرن :

لاشك أن هزيمة اليفرنيين السالفة ، ومصرع أعداد كبيرة منهم ، بالاضافة الى تخريب مدينتهم افكان على يد القائد جوهر ، قد فت فى عضد زناتة عامة وبنى يفرن بوجه خاص(٦٤) . وكان بنو يفرن — وفقا لرواية كل من ابن الخطيب وابن خلدون — قد ولوا يدو بن يعلى أميرا عليهم خلفا لأبيه(٦٥) ، أو ابن عم للأمير يعلى وفقا لرواية ابن عذارى(٦٦) . ومن الممكن التوفيق بين الروايتين لأن يدو بن يعلى — وفقا لرواية ابن خلدون — وقع أسيرا فى يد جوهر ، فاعتقله مدة

---

(٦٣) ذكر القاضى النعمان (المصدر السابق ص٢١٧) ان بعض أهل يعلى بن محمد نزلوا بساحل المرية بالأندلس عقب مصرع عميدهم يعلى بن محمد ، انظر كذلك . ابن عذارى : المصدر السابق ج٢ ص٢٢٢ .

(٦٤) ذكر الدكتور حسن محمود ان حملة القائد الفاطمى جوهر عام ٣٤٧هـ على بلاد المغرب نكلت بالزناتيين ، وأصابت جبهتهم بتصدع كبير ، فتقلص نفوذهم فى المغرب الأوسط واضطروا الى الانسحاب تدريجيا الى بلاد المغرب الأقصى لائذين بأمن غضب الفاطميين وبطشهم . قيام دولة المرابطين ص ٧٩ .

(٦٥) ابن خلدون : ج٧ ص١٨ — ابن الخطيب : أعمال الأعلام (نشر العبادى) ص١٦٤ .

(٦٦) البيان المغرب ج٢ ص٢٢٢ .

الى أن فر من معتقله بعد فترة من الوقت واجتمع عليه قومه[٦٧] ، كذلك يذكر صاحب كتاب مفاخر البربر أن بنى محمد بن صالح اليفرنى عقب هزيمتهم على يد جوهر لم يتفقوا على ابنه يدو الا بعـد فترة من الوقت[٦٨] . وبناء على ذلك يمكن القول أن الفترة ما بين مصرع يعلى بن محمد وتولية ابنه يدو الامارة — وهى فترة لا نعلم سنيها — هى التى تولى فيها ابن عم الأمير يعلى أمر اليفرنيين .

وأيما كان الأمر فان يدو بعد توليـه الامارة آثر اللجـوء الى الصحراء لفترة زمنية تكفى لتنظيم جيشه بسبب الضغط الشديد الذى تعرضت له سائر القبائل الزناتية من قبل جيوش الدولة الفاطمية ومن أنصارها قبيلة صنهاجة البرانسية ، فقد شن زيرى بن مناد الصنهاجى هجوما كاسحا على بلاد المغرب عام ٣٦٠هـ/٩٧٠م ، تمكن خلاله من كسر شوكة الزناتيين ، كما قام ابنه بلكين بشن هجوم آخر فى العام التالى (٣٦١هـ) « فأوغل فى ديار زناتة وقتل منهم فى مواطن كثيرة خلقا لا يحصيهم الا الله ، واستولى على تاهرت والمسيلة وطبنة وباغاى وبجاية وبسكرة وجميع مدن المغرب حتى لم يبق لزناتة فى شىء منها أمر ... »[٦٩] . ولاشك أن هذه الحملات الصنهاجية المتكررة دفعت العشائر الزناتية الى اللجوء الى المغرب الأقصى حتى تكون بمنأى عن هجمات الفاطميين والصنهاجة حلفائهم .

ولم يلبث بنو يفرن أن عادوا الظهور على مسرح الأحداث عندما

---

(٦٧) ابن خلدون : ج٤ ص٤٦ ، ج٧ ص١٨ .

(٦٨) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ص ٥ — ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص ٥٥ .

(٦٩) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ص٨ .

انضم زعيمهم يدو بن يعلى الى جانب القائد جعفر بن على بن حمدون الأندلسى(٧٠) ، الذى عهد اليه الخليفة الأموى الحكم المستنصر عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م بمهمة اعادة الأمن الى بلاد المغرب ، وقد أخلص يدو للأمويين فى الأندلس ، وكان من أكثر زعماء زناتة الذين انضموا الى جانب الأمويين قوة وأحسنهم طاعة(٧١) . كذلك تصدى يدو بن يعلى مع غيره من أمراء زناتة لبلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى فى حملته الشهيرة على بلاد المغرب (أوائل عام ٣٦٩هـ/٩٧٩م) . بيد أن الزناتيين — ومن بينهم بنى يفرن — لم يصمدوا كثيرا فى وجه بلكين ، وتحصنوا داخل أسوار سبته وبعثوا الى المنصور بن أبى عامر يستنجدون به(٧٢).

ولم تطل الفترة التى دان خلالها يدو بن يعلى وقومه بنى يفرن بالطاعة للأمويين فى الأندلس ، فقد شقوا عصا الطاعة بعد وفاة الخليفة الأندلسى الحكم المستنصر (ت ٣٦٦هـ/٩٧٦م) وبداية عهد ولده وخليفته هشام المؤيد ، وكان الحاجب المنصور محمد بن أبى عامر قد استأثر بالسلطة والنفوذ فى الأندلس دون هشام ، وذلك بعد أن أزاح من طريقه كبار القادة ورجال الدولة أمثال الوزير الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى والقائد غالب الناصرى وجعفر بن على بن حمدون(٧٣) . ومع ذلك فقد واصل المنصور تطبيق السياسة الأموية تجاه بلاد المغرب على نحو ما كانت عليه فى عهد كل من عبد الرحمن الناصر ثم الحكم المستنصر ، تلك السياسة التى تهدف أساسا الى مواجهة الخطر الفاطمى فى بلاد

---

(٧٠) كان هذا القائد من رجال الدولة الفاطمية ، ولكنه انقلب عليهم وانضم الى جانب الأمويين أصحاب الأندلس .

(٧١) مفاخر البربر ص١٤ — ابن خلدون : ج٧ ص١٩ .

(٧٢) نفس المصدر السابق ص١٧ — ابن عذارى : ج١ ص٢٣١ — ابن خلدون : العبر ج٦ ص١٥٦ — انظر كذلك د. عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص٥٠٧ .

(٧٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج٢ ص٢٦٨ — ٢٦٩ .

المغرب عن طريق التدخل العسكرى من ناحية ، والاعتماد على تأييد القبائل المغربية من ناحية أخرى • وكانت قبيلة زناتة ببطونها وعشائرها المختلفة من أكثر قبائل المغرب ولاء للأمويين • وسبق أن ذكرنا كيف تعرض بنو يفرن للقتل والتشريد والفرار من المغـــرب الأوسط الى الصحراء من جراء تأييدهم للأمويين • وعلى الرغم من ذلك كله ، فانهم لم يجدوا عند ابن أبى عامر ما كانوا يرجونه من نفوذ وسلطان ، كما أن المنصور اتبع فى علاقاته مع قبائل البربر سياسة تقوم على مبدأ توازن القوى بين هذه القبائل ، فكان يضرب فريقا بفريق كى يظل الجميع فى حاجة الى تأييد الأمويين •وعلى هذا النحو ، ساد نوع من التوتر فى العلاقات بين المنصور بن أبى عامر وبنى يفرن ، خاصة وأن المنصور انحاز الى جانب المغراويين وزعيمهم زيرى بن عطية ، مستغلا حالة التنافس القـــديم بين مغراوة وبنى يفرن • وقد تنبه المؤرخ ابن خلدون الى هذه السياسة التى انتهجها ابن أبى عامر تجاه مغراوة وبنى يفرن فقال « ••• وكان يدو بن يعلى هذا من بين ملوك زناتة كثير الاضطراب على الأموية والمراوغة لهم بالطاعة ، وكان المنصور بن أبى عامر يضرب بينه وبين قرينه زيرى بن عطية ويقـــرن كل منهما بمناغاة صاحبه فى الاستقامة ، وكان الى زيرى أميل وبطاعته أوثق لخلوصه وصدق طويته وانحياشه »[٧٤] •

ولاشك أن سياسة المنصور لم تكن خافية على يدو بن يعلى ، ولذلك انتهز فرصة قدوم الأمير الادريسى الحسن بن كنون (أو جنون) من مصر الى بلاد المغرب رافعا راية العصيان فى وجه الأمويين بتحريض من الفاطميين ، وبادر بالانضمام هو وأخوه زيرى بن يعلى بالاضافة

---

(٧٤) ابن خلدون : العبر ج٧ ص ٢٠ — مؤلف مجهول : مفاخر البربر ص ٢٢ •

الى ابن لأبى بداس بن دوناس اليفرنى الى الحسن بن كنون(٧٥) .
ولكن المنصور بن أبى عامر واجه هذه الثورة بكل حزم ، وسير الجيوش من الأندلس الى المغرب ، كما استعان بزيرى ومقاتل ابنا عطية بن عبد الله بن خزر المغراوى وقبيلتهما مغراوة ، وأمكنه بذلك القضاء على هذه الثورة(٧٦) وذلك عام ٣٧٥هـ/٩٨٥م. وكافأ المنصور بن أبى عامر حليفه المغراوى بأن دعاه لزيارة قرطبة ، حيث استقبله استقبالا حافلا وخلع عليه لقب الوزارة ، كما أغراه بيدو بن يعلى واليفرنيين ، فبادر الى اجابته(٧٧) . وتختلف المصادر فيما بينها اختلافا شديدا حول تاريخ زيارة زيرى بن عطية لقرطبة ، فابن خلدون يذكر أنها تمت فى عام ٣٧٧هـ/٩٨٧م ، ويعود فيذكر عام ٣٨١هـ كتاريخ لهذه الزيارة ، ثم يشير فى موضع آخر الى أنها تمت عام ٣٨٣هـ/٩٩٣م(٧٨) . أما صاحب كتاب مفاخر البربر فلم يحدد تاريخا معينا لهذه الزيارة واكتفى بالقول بأنها تمت قبل عام الثمانين وثلاثمائة(٧٩) ، أما ابن عذارى فيذكر — نقلا عن ابن حمادة — أنها حدثت عام ٣٧٩هـ/٩٨٩م(٨٠) ، فى حين أن كلا من ابن أبى زرع وابن الخطيب أشارا الى أنها تمت عام ٣٨٢هـ/٩٩٢م(٨١).

---

(٧٥) انظر الجدول الخاص بنسب بنى يفرن فى نهاية البحث .

(٧٦) ابن خلدون : ج٧ ص٢٩ — السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى . الدار البيضاء . ١٩٥٤ ج١ ص٢٠٣ — ٢٠٤ — انظر كذلك: د. مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى . ص٤٤٦ .

(٧٧) ابن خلدون : ج٧ ص٢٩ .

(٧٨) نفس المصدر السابق ص ٢ ، ٣١ .

(٧٩) مفاخر البربر ص ٢٢ .

(٨٠) البيان المغرب ج١ ص٢٥٢ .

(٨١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص٦٤ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام (نشر العبادى) ص١٥٧ .

وتتمثل أهمية هذه الزيارة بالنسبة لموضوعنا فى أن يدو بن يعلى انتهز فرصة رحيل زيرى بن عطية الى قرطبة ، وأقدم على مهاجمة عدوة الأندلسيين من مدينة فاس واستولى عليها ، ومن ثم اشتعلت الحرب بين بنى يفرن والمغراويين[٨٢] . ولذلك فمن الأهمية بمكان أن نحاول تحديد العام الذى تمت فيه هذه الزيارة ، وبادىء ذى بدء نقول أنه يبدو أن هناك عدة زيارات قام بها زيرى بن عطية المغراوى لقرطبة ، وهذا ما سبب الارتباك بين المؤرخين حول تحديد تاريخ هذه الزيارة ، وليس من المستبعد أن يكون زيرى بن عطية قد قام بزيارة لقرطبة عام ٣٧٧هـ كما ذكر ابن خلدون ، ثم عاود زيارتها مرة أخرى عام ٣٨١هـ — وهو التاريخ الذى يبدو لنا مقبولا لهذه الزيارة لأنه يتفق مع تسلسل الأحداث التالية — . وفى هذه الزيارة قدم زيرى بن عطية المغراوى هدية أبى المنصور بن أبى عامر الذى أحسن استقبال حليفه المغراوى « فاستقبله بالجيوش والعدة ، واحتفل للقائه ، وأوسع نزله وجرايته ونوه بأسمه فى الوزارة ، وأقطعه رزقها وأثبت رجاله فى الديوان ، ووصله بقيمة هديته وأسنى فيها وأعظم جائزته وجائزة وفده وعجل تسريحه الى عمله »[٨٣] . ولاشك أن هذه الحفاوة التى قوبل بها زيرى بن عطية فى قرطبة ما هى الا دليل على استمرار السياسة الأموية تجاه المغرب ، هذه السياسة التى تعمل على اصطناع رؤساء القبائل البربرية لمواجهة الأخطار التى تهدد النفوذ الأموى هناك . ولكن زيرى بن عطية

---

(٨٢) نلاحظ ان مدينة فاس فى ذلك الوقت كانت منطقة صراع بين اليفرنيين والمغراويين « فكان اذا غلب يدو دخل الى مدينة فاس ، واذا غلب زيرى أخرجه عنها » . « وكانت بينهما سجال » . راجع : ابن الخطيب : المصدر السابق ص١٦٥ — ابن ابى زرع : نفس المصدر السابق ص ٦٥ .

(٨٣) ابن خلدون : ج٧ ص ٣٠ .

— فيما يبدو — لم يلق من المنصور بن أبى عامر ما كان يرجوه من النفوذ والسلطة ، كما أنه اغتر كثيرا بقوته ، واعتقد أن بامكانه الانفصال عن سيادة قرطبة ، ولذلك غادر الأندلس ساخطا على المنصور ، وبمجرد أن وطئت قدماه مدينة طنجة على الساحل المغربى حتى بادر بخلع طاعة المنصور والثورة عليه[٨٤] . وحاول المنصور بن أبى عامر أن يقضى على تمرد زيرى عن طريق الحيلة والدهاء ، فأظهر عدم اكتراثه بما قاله وفعله زيرى بن عطية ، بل زاد فى اصطناعه[٨٥] ، وفى نفس الوقت أراد أن يستغل حالة العداء القائمة بين المغراويين وبنى يفرن لكسر شوكة زيرى بن عطية ، وكما سبق القول كان يدو بن يعلى قد انتهز فرصة رحيل زيرى الى قرطبة ، واستولى على فاس عاصمة المغراويين . ولذلك بعث المنصور بن أبى عامر الى يدو بن يعلى يرغبه فى التقرب اليه ، ويدعوه هو الآخر لزيارة قرطبة ، بيد أن يدو رفض هذا العرض تماما ، وقال لرسل ابن أبى عامر « .. متى عهد المنصور حمر الوحش تنقاد للبياطرة »[٨٦] . ثم أخذ فى افســاد السابلة والاجلاب على الأحياء والعيث فى العمالة[٨٧] . ولم يجد المنصور بدا من الانحياز كلية الى جانب زيرى بن عطية فأمده بالمال والجند اللازمين لقتال بنى يفرن ، كما كتب الى عامله على المغرب الوزير الحسن بن أحمد بن عبد الودود السلمى يأمره بتقديم يد المساعدة لزيرى بن عطية ، وفى يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من المحرم عام ٣٨١هـ/٧ أبريل ٩٩١م ، اشتبك اليفرنيون بزعامة يدو بن يعلى مع زيرى بن عطيــة والحسن بن

(٨٤) مفاخر البربر لمؤلف مجهول : ص٢٢ .
(٨٥) ابن خلدون : ج٧ ص ٣٠ .
(٨٦) مفاخر البربر ص٢٣ — ابن خلدون : نفس المصدر والصفحة .
(٨٧) ابن خلدون : نفس المصدر والصفحة .

عبد الودود وجموعهما من المغراويين وجند الأندلس وتمكن يدو بن يعلى من احراز انتصار باهر على أعدائه ، بعد أن أثخن فيهم وقتل عددا كبيرا منهم ، كما أصيب القائد الحسن بن عبد الودود بجراح قاتلة توفى على اثرها ، كما أصيب زيرى بن يعلى شقيق يدو ببعض الجروح[٨٨] .

وأثار نبأ الانتصار الذى أحرزه بنو يفرن ثائرة المنصور محمد بن أبى عامر ، ولذلك بادر بالكتابة الى زيرى بن عطية المغراوى يشد من أزره ، وولاه بلاد المغرب عوضا عن الوزير الحسن بن عبد الودود ، كما طلب من أبى البهار زيرى بن مناد الصنهاجي[٨٩] مؤازرة زيرى بن عطية فى صراعه ضد بنى يفرن ، وتمكن زيرى بفضل تلك المساعدات من الثأر لهزيمته السابقة فى موقعة عنيفة انتهت بهزيمة يدو بن يعلى وقتل ثلاثة آلاف من رجاله ، واستأمن عدد آخر لزيرى . كذلك استولى زيرى بن عطية على قيطون[٩٠] يدو واستحوذ على كثير من أمواله ، بالاضافة الى وقوع أم يدو وأخته وكثير من حرمه أسرى فى يد زيرى

---

(٨٨) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ص٢٣ ، ابن خلدون : ج٧ ص ٢٠، ص ٣٠ .

(٨٩) هو عم منصور بن بلكين بن زيرى الصنهاجى أمير القيروان ونائب الفاطميين بافريقية ، وقد انضم ابو البهار الى أمويى الأندلس عندما حدث خلاف بينه وبين ابن أخيه . ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص٢٤٤ — ص٢٤٥ — ابن خلدون : نفس المصدر السابق والصفحة .

(٩٠) ذكر دوزى فى معجمه ان كلمة «قيطون» تعنى حجرة صغيرة فى اللهجة العامية المصرية، كما تعنى ايضا حجرة النوم chembre à coucher ، وتعنى عند أهل المغرب «خيمة» Tente . وهو ما يتفق مع سياق الرواية . راجع :

Dozy: Supplément aux dixctionnairs Arabes, Beyrouth. 1968, Vol. 2. P. 386.

بن عطية • وتتفق معظم المصادر على أن هذه المعركة دارت عام ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م(٩١) ، ولكنها تختلف حول مصير يدو بن يعلى ، فصاحب كتاب مفاخر البربر ذكر أنه فر الى الصحراء لائذا بها ثم هلك بعد ذلك(٩٢)، أما ابن أبى زرع فيشير الى أن زيرى بن عطية اقتحم مدينة فاس عنوة وانتزعها من يد يدو بن يعلى وقتله ومثل به ، ثم بعث برأسه الى المنصور بن أبى عامر بقرطبة(٩٣) • ويؤيد كل من ابن الخطيب وابن خلدون رواية ابن أبى زرع(٩٤) ، وان كان ابن خلدون يذكر فى موضع آخر أن أبا يداس بن دوناس ابن عم الأمير يعلى هو الذى اغتاله عندما فر يدو الى الصحراء(٩٥) •

على أية حال ، فقد تولى أمر بنى يفرن حبوس بن زيرى بن يعلى، ولكنه لم يستمر طويلا ، اذ وثب عليه ابن عمه أبو يداس بن دوناس فقتله ، بيد أن بنى يفرن لم يرتضوا امارته ، فاضطر الى مغادرة المغرب

---

(٩١) ابن خلدون : ج٧ ص٢١ ، ص٣١ • ولم يحدد صاحب مفاخر البربر (ص٢٦) تاريخا لهذه المعركة ، وان كان يفهم من حديثه انها تمت قبل عام ٣٨٢هـ ، فى حين أن ابن الخطيب حدد عام ٣٨١هـ تاريخا لها (ص١٦٥)• ولكننا نلاحظ هنا التناقض الذى وقع فيه ابن الخطيب ، لانه سبق ان ذكر ان زيرى بن عطيه قد عاد من قرطبة الى المغرب عام ٣٨٢هـ ، وانه بلغه عندما نزل بطنجة ان يدو بن يعلى اليفرنى تغلب على فاس فاسرع نحوه •

(٩٢) مفاخر البربر ص ٢٥ — ٢٦ •

(٩٣) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص ٦٥ •

(٩٤) ابن خلدون : ج٧ ص٢١ — ابن الخطيب : أعمال الأعلام (نشر د• العبادى) ، ص ١٦٥ ، كذلك د• عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٥١٠ •

(٩٥) ابن خلدون : ج٧ ص٣١ •

مع جمع عظيم من قومه الى الأندلس ، حيث دخلوا فى خدمة المنصور بن أبى عامر[96] .

امارة جديدة لبنى يفرن فى سلا[97] :

عقب رحيل أبى يداس بن دوناس اليفرنى الى بلاد الأندلس ، أسند بنو يفرن رئاستهم للأمير حمامة بن زيرى بن يعلى ، وفى عهده

---

(٩٦) مفاخر البربر ص٢٦ — ابن خلدون : ج٧ ص٢١ . أما ابن عذارى فقد ذكر أن بنى يفرن اجتمع رايهم على تولية محمد بن يدو أميرا عليهم ، فحسده على ذلك ابن عمه يداس ، فقتله وتأمر مكانه ، فاختلف اليفرنيون عليه (البيان المغرب ج٣ ص ٢٧٠) . ولكننا نرى أن ما ذكره صاحب مفاخر البربر وابن خلدون هو الأصوب، لأن أبا يداس ليس ابن عم لمحمد بن يدو — كما يذكر ابن عذارى — ولكنه ابن عم أبيه. (راجع سلسلة نسب بنى يفرن) .

(٩٧) سلا Salé مدينة رومانية قديمة على ساحل المحيط الأطلنطى ، لابتعد كثيرا عن مدينة الرباط الحالية (حوالى ٥ كم) ، ويفصلها عنها وادى بورقراق ، ويذكر صاحب كتاب الاستبصار أن بنى عشرة هم الذين قاموا ببنائها ، ثم اتخذها اليفرنيون قاعدة لهم . كما اهتم الموحدون — فيما بعد — ببناء أسوارها وأنشأوا فيها دارا لصناعة السفن ، ولكن الوزير والأديب الغرناطى لسان الدين بن الخطيب تحامل على هذه المدينة تحاملا شديدا عندما قارن بينها وبين مدينة مالقة الاسلامية . راجع : البكرى : المغرب ص٨٧، ص١٢٤ ، ص١٧٢ ، ص١٩٢ . مؤلف مجهول: الاستبصار ص١٤١ — ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، مجموعة من رسائله جمعها الدكتور مختار العبادى . الاسكندرية ١٩٨٣ ، (رسالة مفاخرة مالقة وسلا (ص٥٧ — ٦٦ . انظر أيضا عبد العزيز بن عبد الله : معلمة المدن والقبائل ، ملحق ٢ ، المحمدية ١٩٧٧ ص ٢٧٠ — ٢٧٣ .

اضطر بنو يفرن الى الانسحاب غربا حتى وصلوا الى ناحية شاله(٩٨) فاستولوا عليها مع بقية اقليم تادلا ، الذى كان خاضعا لحكم زيرى بن عطية المغراوى . واتخذ اليفرنيون من مدينة سلا عاصمة لهم ، فاهتموا بتمصيرها وزودوها بكثير من منشآتهم واستمرت حالة العداء بين بنى يفرن ومغراوة قائمة ، ولجأ الأمير حمامة بن زيرى اليفرنى الى افريقية التماسا لتأييد بنى زيرى وبنى حماد الصنهاجيين ، ومن المعروف أن الزيريين كانوا فى صراع متواصل مع زيرى بن عطية المغراوى باعتباره أقوى زعماء زناتة . ويشير ابن خلدون الى أن الأمير حمامة بن زيرى اليفرنى بعث بهدية الى أبى مناد باديس بن أبى الفتوح منصور أثناء حصار هذا الأخير لعمه حماد بن يوسف بن بلكين بن زيرى بالقلعة عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م صحبة أخيه زاوى بن زيرى بن يعلى ، فاحتفل أبو مناد

---

(٩٨) شالة (أو شله) : Chella : مدينة اثرية قديمة بالقرب من مدينة رباط الفتح (الرباط حاليا) ، يفصلها عن مدينة سلا وادى بورقراق، وقيل أن كلمة شاله كلمة بربرية قديمة معناها «كثير» . وقد استولى عليها البرغواطيون فى العصر الاسلامى ، ثم انتزعها منهم المولى ادريس الأول ، وظلت تابعة للادارسة حتى استولى عليها موسى بن ابى العافيه المكناسى ثم انتزعها زيرى بن عطية المغراوى ، واخيرا استولى عليها بنو يفرن وذلك فى مطلع القرن الخامس الهجرى/١١م . وقد اشتهرت مدينة شاله فيما بعد بأنها الجبانة الملكية لحكام بنى مرين الذين حكموا المغرب الأقصى طيلة النصف الثانى من القرن السابع الهجرى والقرنين الثامن والتاسع الهجريين . راجع: ابن الخطيب : اعمال الأعلام (نشر د. العبادى) ص١٨٤ ج١ ، عبد العزيز بن عبد الله : معلمة المدن والقبائل ص٢٨١ — ٢٨٤ ، H. Basset et Levi-Provençal: Chella: Une nécropole mérinide, Rev. Hesperis, peris, 1922 (1 et 2 trim), PP. 1-22 et (3e trim) PP. 255-316.

باستقباله استقبالا حافلا بالطبول والبنود[٩٩] .

وعلى أية حال ، لم تحدد لنا المصادر الفترة التى قضاها حمامة بن زيرى أميرا على بنى يفرن ، كما لم تحدد تاريخا لوفاته ، واكتفت تلك المصادر بالقول بأن أخاه الأمير أبا الكمال تميم هو الذى خلفه أميرا على بنى يفرن[١٠٠] .

أبو الكمال تميم والجهاد ضد برغواطة :

أشاد المؤرخون بالأمير تميم اليفرنى ، وذكروا أنه كان مستقيما فى دينه ، مولعا بجهاد قبيلة برغواطة المارقة ، حتى أنه كان يغزوها مرتين فى العام[١٠١] . والواقع أن قيام امارة بنى يفرن فى منطقة سلا، ومجاورتهم لقبيلة برغواطة الذين استولوا على منطقة تامسنا ، فرض عليهم حربهم وجهـادهم . فمن المعروف أن البرغواطيين كانوا قد اتخذوا من مدينة شالة عاصمة لهم قبل أن تخضع لحكم المغراويين ثم اليفرنيين[١٠٢] ، كذلك نجد فى كتاب أتحاف أعلام الناس بجمال أخبار

---

(٩٩) ابن خلدون : ج٧ ص٢١ وان كان ابن خلدون قد اخطأ فى قوله بان الأمير حمامة اليفرنى ارسل هديته الى المنصور الزيرى ، لأن المنصور ابا الفتوح بن يوسف بن بلكين قد توفى عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م ، وان ابا مناد باديس هو الذى كان معاصرا للأمير حمامة اليفرنى . انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ص٢٤٧ — النويرى : نهـاية الأرب (القسم الخاص بالمغرب) ص٣١٧ .

(١٠٠) ابن الخطيب : اعمال الاعلام (نشر د. العبادى) ص ١٦٥ .

(١٠١) ابن خلدون : ج٧ ص٢١ — ابن ابى زرع : الانيس المطرب ص٦٩ الذى اتهم الأمير تميم بالجهل .

(١٠٢) ابن الخطيب : اعمال الأعلام . (نشر د. العبادى) ص١٨٤ .

حاضرة مكناس للمولى عبد الرحمــن بن زيدان ، ما يفيد بأن أمراء برغواطة قد امتد نفوذهم الى شمال الرباط الحالية وأنهم استولوا على مدينة المعمورة (المهدية حاليا)[١٠٣] من أيدى بنى يفرن الزناتيين حكام سلا ، وأنهم خربوها فيما خربوه من المدن[١٠٤] . ولذلك شدد اليفرنيون هجومهم على البرغواطيين ، وكان رباط مدينة ســلا مركزا لتجمع المجاهدين من بنى يفرن وغيرهم ، يخرجون منه لقتال هراطقة برغواطة. ومن المعلوم أن هذا الرباط (رباط سلا) كان مقاما قبل قدوم اليفرنيين الى هذه المنطقة ، وسبق أن وصفه الجغراف والرحالة ابن حوقل النصيبى (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) بقوله « وبسله (سلا) رباط يرابط فيه المسلمون ، وعليه المدينة الأزلية المعــروفة بسلة القديمة وقد خربت ، والناس يسكنون ويرابطون برباطات تحف بها ، وربما اجتمع فى هذا المكان من المرابطين مائة ألف انسان يزيدون فى وقت وينقصون لوقت ، ورباطهم برغواطة قبيل من قبائل البربر على البحر المحيط »[١٠٥] . ومن المعروف أيضا أن هذه القبيلة المارقة لم تسلم من جهاد الدول الاسلامية المتعاقبة فى بلاد المغرب ، فقد سبق أن غزاها الأدارسة والفاطميون والمنصور

---

(١٠٣) مدينة المهدية الحالية بالمغرب الأقصى كانت تعرف قديما بحلق الوادى (وادى سبو) أو المعمورة ، ثم سميت بالمهدية أيام المولى اسماعيل عام ١١٠٢هـ/١٦٨١م عندما ضيق على الجيش الاسبانى المرابط فيها ، فخرج اليه قائد الجيش مستسلما وبيده مفاتيح المدينة كهدية للسلطان فأمنه وقبل هديته ، ثم دخل المدينة وسماها المهدية . والمدينة تقع على ساحل المحيط عند مصب وادى سبو بالمغرب من القنيطرة . ومن الجدير بالاشارة الى انها غير مدينة المهدية التى أنشأها الخليفة المهدى عبيد الله الفاطمى بالقطر التونسى . راجع : د. مختار العبادى : فى تاريخ المغــرب والأندلس . الاسكندرية . بدون تاريخ . ص٣٠٧ ح٤ .

(١٠٤) نفس المرجع والصفحة.

(١٠٥) ابن حوقل : صورة الأرض . ص٨٢ .

محمد بن أبى عامر ، ولكن بنى يفرن كانوا أشد وطأة على برغواطة من أية قوة أخرى[١٠٦] . ويذكر ابن خلدون أن أبا الكمال تميم اليفرنى هادن المغراويين وسالمهم ليتفرغ لقتال برغواطة[١٠٧] ، اذ كان يعتبر حربه ضدهم جهادا فى سبيل الله ، ويسوق ابن أبى زرع رواية طريفة تدل على ولع الأمير تميم بجهاد هذه القبيلة المارقة فيقول أن الأمير تميم ظل يقاتل برغواطة مرتين كل عام حتى وفاته عام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م ، وأن بنى يفرن لما قرروا دفن ولده الذى قتل فى عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م أثناء صراعه مع المرابطين بجانب قبر أبيه ، سمعوا من داخل قبر والده تكبيرا عظيما وتشهدا ، فنبشوا القبر فوجدوه سليما لم يتغير منه شىء ، فرآه بعض قرابته فى النوم فى تلك الليلة ، فقال له : « ما ذلك التكبير والتسبيح والتشهد الذى سمعناه من قبرك ؟ فرد أبو الكمال تميم بأن هؤلاء ملائكة وكلهم الله تعالى بقبره يكبرون ويهللون ويسبحون ، وأن أجر ذلك له الى يوم القيامة ، ولما سأله الرجل عن السر فى ذلك قال : بجهادى فى الكفرة برغواطة وفعلى فيهم فى كل سنة[١٠٨] . وعلى الرغم من الطابع القصصى لهذه الرواية الا أنها توضح لنا المكانة العالية التى تمتع بها الأمير تميم اليفرنى عند أهل المغرب .

---

(١٠٦) د. سحر سالم : من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب فى العصر الاسلامى . بحث القى فى مؤتمر الحركات الهدامة فى التاريخ الاسلامى قديما وحديثا . عقد بكلية الآداب جامعة الزقازيق فى الفترة من ٢٠ — ٢٢ نوفمبر ١٩٩٠م .

(١٠٧) ابن خلدون : ج٧ ص٢١ .

(١٠٨) ابن ابى زرع : المصدر السابق ص٦٩ وكذلك (مختار العبادى: الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية سنة ١٩٦٧ .

ويبالغ الجغرافى الأندلسى البكرى فى تقدير النتائج التى ترتبت على الحرب التى شنها أبو الكمال تميم اليفرنى ضد برغواطة ، فيذكر أن أبا الكمال حاربهم بعد سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م « فغلبهم على بلادهم وسباهم وجلا من بقى منهم ، واستوطن ديارهم وانقطع أمرهم وعفا آثارهم ولم يبق لضلالتهم باقية ولا من أواصر كفرهم أصرة »[١٠٩]. ومن المعروف — على الرغم مما ذكره البكـرى — أن برغواطة ظلت تمارس هرطقتها حتى غزاهم المرابطون وأثخنـوا فيهم الى حد أن عبد الله بن ياسين أمير المرابطين استشهد عام ٤٥٠هـ/١٠٥٧م وهو يقاتلهم[١١٠] . ولكن ذلك لا يمنعنا من القول بأن تميما اليفرنى قد أذرع فيهم قتلا وغلبهم على تامسنا وقلد عليهم واليا من قبله[١١١] .

ولم تقتصر أعمال الأمير تميم على جهاد برغواطة فحسب ، بل أنه عاود قتال المغراويين عقب هدنة لم تستمر طويلا ، ففى عام ٤٢٤هـ/١٠٣٣م زحف الأمير تميم مع جموع اليفرنيين وهاجم مدينة فاس — مقر مملكة حمامة بن المعز بن زيرى بن عطية — وتمكن من اقتحامها والاستيلاء عليها وذلك فى شهر جمادى الآخر من نفس العام (يونيو ١٠٣٣م) . واضطر الأمير حمامة المغراوى الى الفرار الى مدينة وجدة ومنها رحل الى تلمسان . وقد أقدم الأمير تميم اليفرنى عقب دخوله مدينة فاس على قتل عدد كبير من اليهود قدرت المصادر عددهم بما

---

(١٠٩) البكرى : المغرب ص١٤١ .

(١١٠) د. سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغـرب العربى ج٢ ص٤٣٢ — ٤٣٣ ، مختار العبادى : الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية الآداب بالاسكندرية سنة ١٩٦٧ .

(١١١) ابن خلدون : ج٦ ص٢٠٩ .

يزيد على ستة آلاف ، كما نهب أموالهم وسبى نساءهم(١١٢) . ولم توضح لنا المصادر السبب فى نكبة اليهود على يد الأمير تميم ، هل لأنهم كانوا يناصرون خصمه حمامة المغراوى ويمدونه بالأموال ؟ أم أن هناك ثمة صلة بينهم وبين قبيلة برغواطة المارقة ؟ لقد ذهب بعض المؤرخين الحديثين أمثال نحوم سلوتش ودفردان الى القول بأن دولة برغواطة كانت يهودية فى أساسها واتجاهها ، ويستندون فى ذلك الى المؤثرات اليهودية التى يمكن أن نلحظها فى ديانة هذه القبيلة ، كما أن مؤسس هذه الدولة يهودى الأصل من ولد شمعون بن يعقوب بن اسحاق(١١٣) .

وكيفما كان الأمر ، فان فترة بقاء الأمير تميم بفاس لم تطل أكثر من خمس سنوات ، حيث تمكن حمامة بن المعز المغراوى من حشد أعداد غفيرة من قبائل زناتة ومغراوة ، وهاجم مدينة فاس عام ٤٢٩هـ/

---

(١١٢) ابن ابى زرع : ص٦٩ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام (نشر د. العبادى) ص ١٦٥ — ١٦٦ — ابن خلدون ج٧ ص٢١ .

(١١٣) ابن ابى زرع : ص٨٣ — وقد استبعد الدكتور مختار العبادى ان تكون ديانة هذه القبيلة هى اليهودية ، وان لم ينكر وجود تأثيرات يهودية واضحة فى ديانة برغواطة ، وذكر ان التأثيرات الاسلامية اقوى واوضح بحيث يمكن القول انها تقليد مشوه للاسلام فى اسلوب وطابع محلى بربرى . راجع: فى التاريخ العباسى والأندلسى ص٤٩٢ ، كذلك انظر : د. سحر سالم : من جديد حول برغواطة ، حيث اخذت بنفس رأى الدكتور العبادى . أما الدكتور محمود اسماعيل فيجزم بالأصل الاسلامى لعقيدة برغواطة ، ويرى أنها صورة متطورة متطرفة من صور المذهب الخارجى الصفرى . راجع : د. محمود اسماعيل : مغربيات ، دراسات جديدة ، المحمدية — المغرب ١٩٧٧ ص٤٣ .

١٠٣٧م[١١٤] وتمكن من اقتحامها ، ففر الأمير تميم اليفرنى منها وعاد بجيوشه الى عاصمته سلا[١١٥] . واستمر تميم أميرا على بنى يفرن حتى توفى عام ٤٤٦هـ وفقا لرواية ابن خلدون ، فى حين يذكر ابن أبى زرع وابن الخطيب أنه توفى عام ٤٤٨هـ/١٠٥٥م . على أية حال فقد أثنى المؤرخون — كما سبق أن أشرنا — على هذا الأمير بسبب جهاده المتواصل لقبيلة برغواطة ، كما عرف عنه ايثاره للعدل وتطبيقه للشريعة واقامة الحدود حتى على أقرب الناس اليه ، فقد روى عنه أنه قتل أحد أبنائه لأنه اغتصب جارية من التجار بوادى سلا[١١٦] .

نهاية امارة بنى يفرن بسلا :

خلف الأمير تميم ابنه حماد ، ولكنه لم يستمر فى الامارة أكثر من ثلاث سنوات حيث توفى عام ٤٤٩هـ/١٠٥٧م ، ثم خلفه ابنه يوسف ، وفى عهده بدأ الاحتكاك الحربى بين المرابطين وبنى يفرن . وكان المرابطون قد تركوا مواطنهم فى جنوب المغرب الأقصى وتقدموا صوب الشمال للقضاء على قوة غمارة المارقة فى جبال الريف ، وأسسوا لهذا الغرض قلعة أمرجو قبالتهم ، وفى أثناء تقدمهم اضطروا الى محاربة بنى يفرن ومغراوة ، فقد استولوا على مدينة اغمات عام ٤٤٩هـ ، ففر أميرها لقوط بن يوسف بن على المغراوى الى تادلا الخاضعة لحكم بنى

---

(١١٤) هذا التاريخ ذكره ابن خلدون (العبر ج٧ ص٢١) ، أما ابن الخطيب فذكر أن هذا الهجوم تم عام ٤٣١هـ (أعمال الأعلام . نشر د. العبادى ص١٦١) فى حين ذكر ابن أبى زرع كلا التاريخين وأشار الى وجود خلاف بين الروايات (الأنيس المطرب ص٦٩ — ٧٠) .

(١١٥) يحيى بن خلدون : بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد . تحقيق عبد الحميد حاجيات . الجزائر ١٩٨٠ ج١ ص١٦٩ .

(١١٦) البكرى : المغرب ص١٤١ .

يفرن واستجار بهم ، فتوجهت جيوش المرابطين الى تادلا حيث اشتبكت مع اليفرنيين عام ٤٥٠هـ ، وتمكن المرابطون من دخول تادلا وقتلوا من بها من بنى يفرن ، كما قتلوا لقوط المغراوى أيضا[١١٧] • ثم واصل المرابطون تقدمهم شمالا للقضاء على القبائل البترية التى فرت فى اتجاه سلا وفاس • بيد أن مصرع أمير المرابطين عبد الله بن ياسين أثناء قتاله مع برغواطة قد جعلتهم يتريثون قليلا • ومما يدل على تصميم المرابطين على الاتجاه شمالا ، أن الأمير أبا بكر بن عمر اللمتونى عندما عزم على التوجه الى الصحراء للجهاد ، عقد لابن عمه يوسف بن تاشفين رئاسة المرابطين ، وأمره بالرجوع لقتال قبائل المغرب وخاصـــة بنى يفرن ومغـــراوة[١١٨] • وقد اشتبك يوسف بن تاشفين مع هاتين القبيلتين الزناتيتين وأنزل بهما هزائم شنيعة ، وفى أثناء ذلك توفى الأمير يوسف بن حماد اليفرنى عام ٤٥٨هـ/١٠٦٦م ، وخلفه عمه محمد بن تميم الذى اضطر أمام ضغط القوات المرابطية الى ترك عاصمته سلا ورحل هو وبنى يفرن الى مدينة فاس محتميا بالمغراويين • وقد يبدو ذلك غريبا نظرا لشدة العداء بين بنى يفرن ومغراوة ، لكن الخطر الذى تعرض له كل منهما من قبل صنهاجة اللثام (المرابطين) دفعهم الى الاتحاد لمواجهة عدوهما المشترك • ولذلك انضم محمد بن تميم اليفرنى الى جانب المغراويين فى قتالهم ضد المرابطين، بيد أن الهزيمة حلت بالزناتيين وقتل نحو ثلاثة آلاف من اليفرنيين والمغراويين ، بالاضافة الى مصرع

---

(١١٧) مؤلف مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية . تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، الدار البيضاء • ١٩٧٩ ص٢٣ — السلاوى: الاستقصا : ج٢ ص ١٥ ، عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص٦٩٧ .

(١١٨) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص٨٦ — السلاوى : المصدر السابق ج٢ ص٢٣ .

الأمير محمد بن تميم اليفرنى ، ودخل المرابطون مدينة فاس عام ٤٦٢هـ/١٠٧٠م ، وبذلك قضى على دولة بنى يفرن فى المغرب الأقصى [١١٩] .
أما من بقى منهـم فقد تفرق فى البـلاد ، ونزل قسم كبـير منهم بتلمسان[١٢٠] .

بقى أن نشير الى أن أيام بنى يفرن فى المغرب لم تكن كلها حربا وقتالا ، بل نعم المغرب فيها — رغم ما صاحبها من اضطرابات وتقلبات — بفترات هدوء واستقرار طويلة ، انصرف فيها الأمراء للبناء والتشييد والتعمير ، وتنشيط الاقتصاد المغربى . فقد أنشأ الأمير يعلى بن محمد مدينة افكان ، كما قام ابن عمه أحمد بن أبى بكر والى فاس ببناء صومعة جامع القرويين عام ٣٤٤هـ ، كما كثر الاتصال والتنقل ما بين المغرب والأندلس ، وكثر الاختلاط والاندماج بين قبائل المغرب الأقصى وقبائل المغرب الأوسط ، وعلى يد اليفرنيين ضعفت الى حد كبير نحلة برغواطة. ولكن فى أواخر أيامهم ، فسدت الحالة لما جاروا على الرعية ، وأخذوا الأموال وسفكوا الدماء بغير حق ، فانقطعت الموارد وكثر الخوف واتصل الجوع والغلاء فآذن ذلك بزوال ملكهم[١٢١] .

٤ — بنو يفرن فى الأندلس :

أ — بنو يفرن فى خدمة الدولة الأموية :

ترجع صلة بنى يفرن ببلاد الأندلس الى بداية القرن الرابـع

---

(١١٩) ابن أبى زرع : ص٩١ ، ابن الخطيب : المصـدر السابق ص ١٦٥ ، ابن خلدون ج٦ ص ١٨٥ .

(١٢٠) السلاوى : الاستقصا : ج٢ ص ٢٩ .

(١٢١) عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب . المطبعة الملكية . الرباط . ١٩٦٨ ج١ ، ص١٢٢ — ١٢٣ .

الهجرى (١٠م) حينما ناصروا الأمويين فى صراعهم ضد الشيعة الفاطميين ، ودخلوا فى طاعتهم ، ولكن شوكة بنى يفرن وغيرهم من قبائل زناتة انكسرت فى أعقاب الحملة التى قام بها القائد الفاطمى جوهر على بلاد المغرب فى عام ٣٤٧هـ ، واضطروا الى مغادرة المغرب الأوسط والاتجاه غربا اما الى المغرب الأقصى أو الى بلاد الأندلس لأئذين بحماية الأمويين(١٢٢) . ويذكر ابن عذارى أن أحد أبناء أبى قرة بن دوناس بن محمد — الذى سبق أن تولى مر اليفرنيين عقب مصرع يعلى بن محمد — رحل الى الأندلس ، حيث استقبله الخليفة الناصر استقبالا حافلا وبالغ فى اكرامه(١٢٣) . وفى عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ — ٣٦٦هـ/٩٦١ — ٩٧٦م) وفد الى قرطبة قياطن بن يعلى بن محمد فى آخر رجب عام ٣٦٣هـ/أبريل ٩٧٤م لاعلان دخوله فى طاعة الأمويين « فاستقبل ورحب به وأكرم منزله ووسع عليه »(١٢٤) . ولم يتوقف تيار هجرة اليفرنيين من المغرب الى الأندلس فى عهد الخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور محمد بن أبى عامر ، على الرغم من توتر العلاقات بين يدو بن يعلى — أمير بنى يفرن بالمغرب — والمنصور بن أبى عامر(١٢٥) . وشجع اليفرنيين على ذلك سياسة الدولة الأموية التى عملت على ضم العناصر البربرية الى صفوف جيشها ، هذه السياسة التى بدأ فى تطبيقها منذ أواخر أيام الخليفة الحكم المستنصر ، ثم ازداد

---

(١٢٢) مفاخر البربر ص ٤٥ — ابن خلدون : ج٧ ص١٨ .

(١٢٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج٢ ص٢٢٢ .

(١٢٤) ابن حيان : المقتبس (نشر د. عبد الرحمن حجى) ص ١٥٥ .

(١٢٥) نلاحظ أن اليفرنيين الذين رحلوا الى الأندلس كانوا فى غالبيتهم من ابناء واحفاد دوناس بن محمد بن صالح اليفرنى ، فى حين أن أبناء وأحفاد يعلى بن محمد هم الذين استقروا ببلاد المغرب .

اعتماد الدولة على هذه العناصر البربرية خاصة أيام المنصور بن أبى عامر الذى أراد أن يزيل العصبية من صفوف الجيش الأموى بضم عنصر جديد يحفظ التوازن داخل جيشه(١٢٦) . ولم تكن هذه الحقيقة خافية على أحد ، فالأمير عبد الله الزيرى — آخر ملوك بنى زيرى أصحاب غرناطة فى عصر دول الطوائف بالأندلس — أشار الى هذه السياسة بقوله « وتوقع (المنصور) من أجناده الاتفاق على بعض ما يخل بدولته، اذ كانوا صنفا واحدا ، وتألبهم على معصية أمره ، متى أمر بما أحبوا أو كرهوا ، فنظر فى ذلك بعين اليقظة ، وسول له رأيه أن تكون أجناده قبائل مختلفة وأشتاتا متفرقة : ان هم أحد الطوائف بخروج عن الطاعة غلبها بسائر الفئات »(١٢٧) . كما أوضح ابن خلدون الخطوات التى اتخذها ابن أبى عامر فى هذا المجال فقال « فاستدعى (المنصور) أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة ، فرتب منهم جندا ، واصطنع أولياء وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة وبنى يفرن وبنى برزال ومكناسة وغيرهم »(١٢٨) .

وبالنسبة لبنى يفرن ، تشير المصادر الى أن أبا يداس بن دوناس

---

(١٢٦) د. عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس . الاسكندرية ١٩٨١ ج١ ص٨٣ — ٨٤ : ويطلق الاستاذ ليفى بروفنسال على هذه السياسة لفظ تبربر القوات الخلافية Berberisation . راجع :

Levi-Provençal: Histoire de L'Espagne musulmane, Leiden, Leiden, 1950-1954-Tom. 3. P. 38.

(١٢٧) الأمير عبد الله الزيرى : مذكرات الأمير عبد الله او كتاب التبيان، تحقيق ليفى بروفنسال . القاهرة ١٩٥٥ ص١٦ .

(١٢٨) ابن خلدون : ج٤ ص١٤٧ — ١٤٨ — ابن عذارى : البيان المغرب ج٢ ص٢٧٤ ، ص٢٧٩ — المقرى : نفح الطيب ج١ ص٣٩٧ .

ابن يعلى اليفرنى ، حينما فشل فى تولى رئاسة اليفرنيين بالمغرب عقب مصرع الأمير يدو بن يعلى ، فكر فى الرحيل الى الأندلس والدخول فى طاعة المنصور محمد بن أبى عامر ، فتوسط له اخوته : أبو قرة وأبو زيد وعطاف لدى المنصو ر، وكان هؤلاء الاخوة قد رحلوا الى الأندلس قبل ذلك بقليل . وبناء على هذه الوساطة وصل أبو يداس الى الأندلس صحبة جمع عظيم من قومه ، فأحسن المنصور استقبالهم « فحل كلهم من المنصور محل التكرمة والايثار ، ونظمه فى جملة الرؤساء والأمراء، وأسنى له الجراية والأقطاع ، وأثبت رجاله فى الديوان ، ومن أجاز من قومه ، فبعد صيته وعلا فى الدولة كعبه »[١٢٩] .

ونتيجة لذلك أصبح اليفرنيون من أكثر العناصر البربرية اخلاصا للدولة الأموية ولبيت ابن أبى عامر ، فشاركوا فى حروب المنصور العديدة التى خاضها سواء فى الأندلس ضد نصارى الشمال أو فى المغرب[١٣٠] . فقد انضم أبو بخت بن عبد الله بن بكار اليفرنى الى القوات الأندلسية التى توجهت الى المغرب بقيادة واضح الفتى لتأديب زيرى بن عطية المغراوى عندما شــق عصا الطاعة على ابن أبى عامر عام ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م[١٣١] . كما كان بنو يفرن من بين القبائل التى شاركت فى الغزوة التى أزمع فيها عبد الرحمن بن المنصور (الملقب بشنجول) غزو مملكة ليون وجليقية عام ٣٩٩هـ/١٠٠٩م . وعندما قفل عبد الرحمن عائدا من غزوته تلك — التى لم يحقق فيها أية نتائج تذكر — ووصل الى طليطلة ،

---

(١٢٩) ابن خلدون : العبر ج٧ ص٢٢ — كذلك : مفاخر البربر ص٢٦.

(١٣٠) F. Guille Robles: Malaga musulmana, sucesos, antiguedades. Ciencias Y Letras Malaguenas durant La edad media, Malaga, 1957, P.41.

(١٣١) مفاخر البربر ص٢٨ .

وافته الأنباء بقيام ثورة فى قرطبة ضد العامريين ، وأن هذه الثورة تزعمها أحد الأمراء الأمويين وهو الأمير محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن عبد الرحمن الناصر وتلقب بالمهدى ، وحاول شنجول الوصول الى قرطبة للقضاء على هذه الثورة ، وعندما وصل الى منزل هانىء بالقرب من الحاضرة ، أدرك أن أهلها يميلون الى محمد بن هشام الذى أقدم على خلع الخليفة الشرعى هشام المؤيد بن الحكم المستنصر ، وتولى هو الخلافة بدلا منه وتلقب بالمهدى • كذلك أدرك زعماء البربر المنضمين لجيش شنجول بأن نجم بنى عامر قد أفل وأن دولتهم قد دالت ، لذلك سـارعوا بالانضمام للخليفة الجـديد ، وكان أبو زيد بن دوناس وعبد الرحمن بن عطاف وأبو نور بن أبى قرة زعماء بنى يفرن من بين قادة البربر الذين أعلنوا بيعتهم للمهدى(١٣٢) •

ب — دور بنى يفرن فى حوادث الفتنة البربرية :

شارك بنو يفرن — شأنهم شأن بقية العناصر البربرية الأخرى فى الأندلس — فى حوادث الفتنة التى اشتعلت نارها مع نهاية القرن الرابع الهجرى وبداية الخامس الهجرى ، فقد انضموا أولا الى جانب الخليفة المهدى ، بيد أن هذا الأخير كان يشك فى اخلاصهم له، كما أن أهل قرطبة وأمراء البيت الأموى كانـوا ينحـون باللائمة عليهـم لمؤازرتهـم العامريين(١٣٣) • وعمل الخليفة المهدى على النيل من هؤلاء البربر ، فأمر ألا يركبوا خيلا ولا يحملوا سلاحا ، كما أساء معاملتهم ، وسمح للعامة بنهب دورهم فى الرصافة ، وعندما أفضى زعماء البربر الى المهدى بما وقع بهم ، اعتذر اليهم ووعدهم برد ما نهب منهم • ولكن البربر

---

(١٣٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص٧١ — ابن خلدون : ج٤ ص ١٥٠ •

(١٣٣) المقرى : نفح الطيب • ج١ ص٤٢٧ •

أدركوا عقم انضوائهم الى المهدى ، فرحلوا عن قرطبة ، وانضموا الى منافس للمهدى من البيت الأموى هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمستعين ، وتمكن البربر بعد عدة اشتباكات مع المهدى وأعوانه من دخول قرطبة واعلان خلافة المستعين وتم ذلك فى شهر ربيع الأول عام ٤٠٠هـ(أكتوبر ١٠٠٩م) ، فى حين فر المهدى الى طليطلة(١٣٤) • ولكن الصراع بين الرجلين لم ينته عند هذا الحد ، فقد استعان المهدى بالكونت ريموند بوريل Raimond Borrell أمير برشلونة وأخيه الكونت أرمنجول Armengol de Urgel (وتسميه المصادر العربية أرمقند) لمناصرته ضد المستعين • وبالفعل تمكن المهدى ومعاونوه من النصارى من دخول قرطبة ، واضطر سليمان المستعين الى الفرار منها هو وأعوانه البربر • وهكذا تبادل الرجلان عملية الاستيلاء على قرطبة والفرار منها • وقد صمم المهدى عقب دخوله قرطبة على القضاء على البربر المناصرين للمستعين ، وكان هؤلاء البربر قد تجمعوا عند وادى آره(١٣٥) (أو وادى يارو) Guadiaro متجهين

---

(١٣٤) حول الصراع بين البربر والمهدى وهزيمة الأخير فى معركة قنطيش . راجع : ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة . القسم الاول . المجلد الأول ص٤٣ وما بعدها — المراكشى : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب . تحقيق محمد سعيد العريان . القاهرة ١٩٦٣ ص٨٨—٨٩ — ابن الآبار : الحلة السيراء ج٢ ص٦ — ٧ . ابن الخطيب : اعمال الاعلام (نشر ليفى بروفنسال) بيروت ١٩٥٦ ص١١٣ . — د. عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ج١ ص٨٦ — ٨٨ •

(١٣٥) يقع وادى آرة بالقرب من مدينة مربلة Marbella على الساحل الجنوبى الشرقى للأندلس ويعرف بوادى السقائين . ابن الخطيب : أعمال الأعلام (نشر بروفنسال) ص ١١٥ •

الى الجزيرة الخضراء كى يكونوا على مقربة من ديارهم بالمغرب اذا ما ألجأتهم الظروف الى ترك الأندلس • وفى يوم الخميس لست خلون من ذى القعدة عام ٤٠٠هـ/٢٣ يونيو ١٠١٠م دارت معركة عنيفة بين الجانبين ، ويذكر ابن خلدون أن الزعيم اليفرنى أبا يداس بن دوناس ومن معه من بنى يفرن أبلوا بلاء حسنا فى هذه المعــركة ، وأصيب أبو يداس بجراح قاتلة ، توفى على اثرها ودفن فى ساحة المعركة ، ويقال أن سبعة عشر فارسا فقط من بنى يفرن وبنى برزال ممن كانوا فى جيش سليمان المستعين لقوا مصرعهم فى هذه المعركة(١٣٦) •

وهكذا كان للبربر عامة وبنى يفــرن خاصــة الفضل فى انتصار

(١٣٦) حول هذه المعركة راجع : المراكشى : المعجب ص٨٩ — ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص٩٨ — ابن الخطيب : المصــدر السابق ص ١١٥ — ١١٦ — ابن خلدون : العبر ج٧ ص٢٢ • ومن الطريف أن نذكر هنــا أن البربر المنضمين الى جيش سليمان المستعين قد اكتسبوا شهرة واسعة بفضل قوة ضربات سيوفهم فى يوم وادى آره ، فقد وصف ابن حيان قوة ضرباتهم بقوله : « وكان من عجائب الضراب يوم آره ، المتحدث عنه فى الآفاق الى اليوم : ثلاث ضربات ما سمع بمثلها فى الدهر مضاء سيوف وقوة سواعد ، منها ضربة أبى زوليت البيضة التى حملت الى مدينة برشلونة والتى وضعتها الأفرنجة فى الكنيسة هناك اعتبارا ومعذرة • وضربة حباسة بن ماكسن الصنهاجى فارسا آخر منهم بدرع حصينة ثقيلة فهتكت الزرد وقدته وقدت جنب لابسه فجدلته ، وضربة بهلول بن تمايت الدمرى لخطم فرس علج منهم ففصلت حديدتى اللجام ولحيى الفرس جميعا ، ورمت بخطمه وما تكنفه من الحديد ناحية ، وخر الفــرس لفيه ، فصارت هذه الضربات أعجوبة عند الناس » • راجع : د• مختار العبادى : صور لحياة الحرب والجهاد فى المغرب والأندلس ، مقال بمجلة البينة • الرباط • السنة الأولى • العدد التاسع (يناير ١٩٦٣م) ص ٩٠ والنص نقلا مفاخر البربر لمؤلف مجهول (النسخة الخطية لوحة ١٥٨) •

سليمان المستعين هذه المرة ، ودخوله مدينة قرطبة ، ولكن المستعين أدرك في نفس الوقت خطورة هذه العناصر البربرية على دولته ، فهو لم يرتق الى سدة الخلافة الا بفضل سيوفهم ورماحهم ، وقد اتخذوا من ذلك صنيعا يطوقون به عنقه ، كما أن المستعين كان يعلم تماما مدى كراهية أهل قرطبة لهؤلاء البربر • وكنا قد أشرنا الى المعاملة السيئة التى عامل بها القرطبيون البربر • ولذلك خشى المستعين أن يعمل البربر عقب دخولهم قرطبة على الثأر لأنفسهم من أهلها ، فأقدم على خطوة كان لها تأثير بالغ فيما بعد على الأوضاع السياسية فى الأندلس • فقد قرر المستعين ابعاد البربر عن قرطبة وتفريقهم على الثغور والكور ، فكان نصيب بنى يفرن كورة جيان Jean بالاشتراك مع بنى برزال ، فى حين أعطى كورة البيرة Elvira لصنهاجة والجوف لمغراوة وشذونة ومورور لبنى دمر وازداجه، وطنجة وأصيلا وسبته للقاسم على ابنى حمود(١٣٧) • ولاشك أن هذا الاجراء الذى اتخذه سليمان المستعين قد رسخ فكرة انقسام الأندلس الى دويلات صغيرة يحكمها أمراء مستقلون أطلق عليهم ملوك الطوائف • وقد استمرت ظاهرة دويلات الطوائف قائمة بالأندلس منذ بداية القرن الخامس الهجرى (١١م) حتى قضى عليها يوسف بن تاشفين أمير المرابطين قرب نهاية هذا القرن وأعاد للأندلس وحدتها •

نعود الى بنى يفرن فنقول أن قسما منهم فيما يبدو استقر فترة من الزمن فى جيان ، ولا تزودنا المصادر العربية بأى تفاصيل عنهم أكثر مما ذكره ابن عذارى من أن محمد بن عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبى عامر قد ثار بجيان عام ٤١٣هـ/١٠٢١م على بنى يفرن ، ولم يوضح ابن عذارى — الذى أورد هذا الخبر — نتيجة هذه الثـورة ، وكل

(١٣٧) ابن عذارى : البيان المغـرب ج٣ ص١١٣ — ١١٤ — ابن الخطيب : المصدر السابق ص١١٩ •

ما ذكره أن محمدا هذا استمر بجيان حتى توفى عام ٤١٩هـ/١٠٢٨م[١٣٨]،
كذلك انضم قسم من بنى يفرن الى جانب الحموديين وعملوا فى خدمتهم، فقد ذكر ابن بسام — نقلا عن ابن حيان — أن محمد بن زيرى بن دوناس اليفرنى كان من رجال الخليفة الحمودى القاسم بن حمود ، وكان ابنه المسمى الحسن بن القاسم بن حمود مصاهرا لليفرنيين ، اذ تزوج من بنت أبى قرة بن دوناس ، وعلى الرغم من ذلك فقد غدر محمد بن زيرى اليفرنى بخليفته الحمودى عندما طرده أهل قرطبة من مدينتهم فى عام ٤١٤هـ/١٠٢٣م ، فحاول دخول اشبيلية ليتخذها مقرا لدولته ، حيث ترك بها أهله وأولاده كما ترك بها أيضا محمد بن زيرى نائبا عنه . ولكن محمد بن زيرى اتفق مع القاضى محمد بن اسماعيل بن عباد على منع القاسم من دخول اشبيلية وأخرجوا له أولاده . وكان محمد بن زيرى اليفرنى يطمع فى تولى أمور اشبيلية ، ولكن ذلك لم يتحقق له ، اذ سرعان ما غدر به القاضى ابن عباد وطرده هو ومن معه من اليفرنيين والبربر خارج مدينتهم[١٣٩] .

من شخصيات بنى يفرن البارزة ممن عملوا فى خدمة الحموديين نذكر الوزير عبد الرحمن بن عطاف بن دوناس اليفرنى ، الذى انحاز الى جانب الخليفة الحمودى على بن يحيى بن على بن حمود الملقب بالمعتلى ، ونجح ابن عطاف فى كسب ثقة المعتلى ، حتى أنه ولاه نائبا عنه لحكم قرطبة وذلك حينما خلع أهلها طاعة الخليفة الأموى المستكفى، ونادوا بخلافة المعتلى مرة ثانية فى رمضان عام ٤١٦هـ/أكتوبر — نوفمبر

---

(١٣٨) ابن عذارى : نفس المصدر السابق ج٣ ص١٣٣ .

(١٣٩) ابن بسام : الذخيرة . القسم الأول . المجلد الأول . ص٤٨٥ — ابن عذارى : ج٣ ص١٣٤ — ١٣٥ .

١٠٢٥م • بيد أن ابن عطاف لم يستمر فى منصبه بقرطبة طويلا اذ نقض أهلها طاعة المعتلى ، وصرفوا ابن عطاف عن مدينتهم ، فلحق بخليفته الحمودى وذلك عام ٤١٧هـ/١٠٢٦م(١٤٠) •

ومن الجدير بالذكر أن قسما آخر من بنى يفرن لم يغادر قرطبة طوال فترة الفتنة البربرية فقد ذكر ابن حيان أن أبا الحزم جهور بن محمد حينما تولى أمر قرطبة عقب خلع الخليفة الأموى هشام المعتد بالله عام ٤٢٢هـ/١٠٣١م اتخذ عددا من الاجراءات لنشر الأمن بقرطبة من بينها طرد البربر منها باستثناء بنى يفرن الذين أبقى عليهم لثقته بهم، يقول ابن حيان « واقتصر (أبو الحزم جهور) من الجند على أعيانهم ، وسد باب البرابر جملة ، الا من قد صار فى البلد من بنى يفرن الموثوق بهم ، وأقصى من سواهم من فرق البرابرة من غير ايحاش »(١٤١) •

ج — دولة بنى يفرن فى رندة :

انتهزت العناصر البربرية فرصة سقوط الخلافة الأموية بقرطبة ، واقتطع زعماؤهم عدة مناطق أنشأوا بها دويلات مستقلة وخاصة فى منطقة جنوب الأندلس • فقد استقل بنو زيرى الصنهاجيون بغرناطة ، وبنو برزال بقرمونة وبنو دمر الاباضيون بمورور وبنو أبى قرة برندة وتاكرنا(١٤٢) • والواقع أن تجمع هذه الممالك البربرية فى هذه المنطقة من بلاد الأندلس يرجع الى قرب هذه المنطقة من بلاد المغرب — الموطن

---

(١٤٠) المراكشى: المعجب ص١٠٢ — ابن خلدون: العبر ج٤ ص١٥٤— المقرى : نفح الطيب ج١ ص٤٣٢ — Guillen Robles: Op. Cit. P. 59.

(١٤١) ابن بسام : الذخيرة . القسم الأول . المجلد الأول ص٦٠٢ .

(١٤٢) د. عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ج١ ص١٢٦ .

الأصلى لهذه القبائل — ، وبالتالى يصبح فى امكانها أن تغادر الأندلس الى بلادها ، اذا ما أحست بأى خطر يهدد بقاءها فى الأندلس ، كما أن هذه القبائل يمكنها بكل يسر أن تتلقى المدد من بلاد المغرب كلما دعت الحاجة لذلك(١٤٣) .

وبالنسبة لبنى يفرن فقد أقاموا مملكتهم فى اقليـــم تاكرنا(١٤٤) (أو تاكرونا) ، واتخذوا من مدينة رندة(١٤٥) عاصمة لهم . ويشير ابن خلدون الى أن أبا نور هلال بن أبى قرة بن دوناس اليفرنى — أحد

---

(١٤٣) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف منذ قيامهـــا حتى الفتح المرابطى . ص١٤٦ .

(١٤٤) تاكرنا Takurnna : احد اقاليم جنوب الاندلس ، يتاخم اقليمى استجه والجزيرة الخضراء ، ويشتهر هذا الاقليم بجباله العالية المنحدرة التى يطلق عليها الزهرى اسم « جبال الصوف » كما يشتهر هذا الاقليم ايضا بوفرة مياهه وتنوع منتجاته الزراعية . الزهرى : كتاب الجغرافية . تحقيق محمد حاج صادق . القاهرة . بدون تاريخ ص ٩٠ ، ص٩٣ . انظر كذلك :
Caridad Ruiz Almodovar Sel: Notas Para un estudio de la tafia beréber de Ronda: Los Banu Ifran, Granada, 1983, PP. 95-97.

(١٤٥) رنده Ronda : عاصمة كورة تاكرنا ، مدينة قديمة من أيام الرومان كانت تسمى Arunda وهى من القواعد العسكرية الهامة بجنوب الأندلس نظرا لحصانتها وارتفاع موقعها . وقد أشاد الرحالة والجغرافيون بحصانتها تلك ، وكانت قلعة ببشتر Bobastro الواقعة بين قمم جبالها مركزا لثورة خطيرة اشعل نارها عمر بن حفصون كادت تعصف بالدولة الأموية بالاندلس. راجع: ابن غالب: فرحة الأنفس، قطعة من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس . تحقيق لطفى عبد البديع . مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد الأول . الجزء الثانى . نوفمبر ١٩٥٥ ص٢٦ — ياقوت الحموى : معجم البلدان . طبع بيروت . بدون تاريخ . ج٣ ص٧٣ — ٧٤ — ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب . تحقيق شوقى ضيف . ج١ ص٣٣٤ . د. احمــد مختار العبادى : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٩٥ — ٩٦ .

زعماء بنى يفرن — انتزع مدينة رندة من يد عاملهـا عامر بن فتوح الفائقى[١٤٦] ، الذى كان يحكم مدينة مالقة والمناطق المحيطة بها ومن بينها رندة وذلك عام ٤٠٥هـ/١٠١٤[١٤٧] . وقد وصف ابن الخطيب أبا نور هلال بعدة صفات متناقضة ، فهو جسور مقدام ، عزيز الجانب ببأس رجاله ووعورة رحاله وحصانة قلاعه ، ولكنه فى نفس الوقت جشعا ، عطلا من كل خلة تدل على فضيلة ، شارعا فى لذاته ، لا ينفق درهما واحدا[١٤٨] . وعلى الرغم من ذلك فقد كان أبو نور هلال واحدا من أبرز زعماء البربر ذوى البأس ، فقد خطب وده كل من الحموديين وبنى عباد باشبيلية .

وقد عمل أبو نور هلال على توطيد صلاته بالحموديين ، ولذلك تميزت تلك العلاقات بالود والتعاون ، وتشير المصادر الى أن أبا نور هلال دخل فى طاعة الحمودى ادريس بن يحيى بن على بن حمود الملقب بالعالى (تولى امامة الحموديين بمالقة من عام ٤٣٤هـ حتى عام ٤٣٨هـ/

---

(١٤٦) عامر بن فتوح : احد موالى فائق الصقلبى صاحب البرد والطراز ايام الحكم المستنصر ، وقد ظل عامر بن فتوح يحكم مالقة وما حولها حتى انتزعها منه على بن حمود بالخديعة راجع : ابن سعيد : المغرب ج١ ص٤٢٥ — المراكشى : المعجب ص٩١ — اما ابن عذارى (البيان ج٣ ص١١٦) فقد ذكر أن عليا قتل صاحب مالقة واستولى عليها .

(١٤٧) ابن خلدون : العبر ج٧ ص٢٣ فى حين أن ابن عذارى ذكر أن أبا نور هلال اليفرنى بويع له بتاكرنا عام ٤٠٦هـ عقب موت ادريس بن على بن حمود ، وهذا خطأ لأن ادريس توفى ٤٣١هـ/١٠٣٩م (البيان المغرب ج٣ ص٣١٢ — ٣١٣) والتاريخ الذى اثبتناه بالمتن هو الأصوب ، وإن كان ابن خلدون قد ذكر فى موضع آخر (ج٤ ص١٥٧) أن ابا نور استبد بأمر رنده عام خمسين واربعمائة وهو تحريف ظاهر .

(١٤٨) ابن الخطيب : اعمال الاعلام (نشر بروفنسال) ص٢٣٨ .

١٠٤٢م — ١٠٤٦م ، ومن ٤٤٤هـ حتى ٤٤٦هـ/١٠٥٢م — ١٠٥٤) ودعا له(١٤٩) . كما ارتبط الرجلان برباط المصاهرة ، فقد تزوج الحسن بن القاسم من بنت أبى نور هـلال وأنجب منهـا ولدين هما : هاشم وعقيل(١٥٠) . واستغل أبو نور هلال صلاته الطيبة بالعالى وطلب منه عددا من الحصون التابعة له فسلمها له(١٥١) ، وبذلك اتسع ملك أبى نور وأصبح يشتمل المنطقة الممتـدة من الجزيرة الخضراء الى تاكرنا(١٥٢) . وحينما خلع العالى من الخـلافة ، ورحل الى سبتة ، ظل اليفرنيون وزعيمهم أبو نور هلال متمسكين بدعوته ، كما أن العالى لم يتردد عقب عودته الى الأندلس فى عام ٤٤٤هـ فى الاقامة بعض الوقت برندة فى ضيافة أبى نور الى أن عاد الى مالقة(١٥٣) . وظلت العلاقات الطيبـة تسود بين بنى يفرن والحموديين حتى بعد وفاة العالى ، عندما بايع أبو نور هلال محمد بن ادريس بن يحيى الذى تلقب بالمستعلى ، وظل اليفرنيون على ولائهم للحموديين الى أن استولى باديس بن حبوس

---

(١٤٩) ابن عذارى : البيان المغرب : ج٣ ص٢١٧ — ابن خلدون : ج٤ ص ١٥٥ — المقرى : نفح الطيب ج١ ص٤٣٢ .

(١٥٠) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص٥١ .

(١٥١) اشتهر هذا الخليفة الحمودى بأنه كان قليـل الحرص على الاحتفاظ بملكه ، ويذكر المراكشى أن العالى كان لينا مع البربر ، وكل من طلب منه حصنا من حصون بلاده ممن يجاوره من صنهاجة أو بنى يفرن أعطاه اياه . المعجب ص١١٧ .

(١٥٢) نفس المصدر السابق ص١٢١ .

(١٥٣) نفس المصدر السابق والصفحة — ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص٢١٧ — اسماعيل العربى : دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة . بيروت ١٩٨٣ ص٢٧٣ .

الصنهاجي صاحب غرناطة على ملكهم عام ٤٤٩هـ/١٠٥٧(١٥٤) ٠

أما عن علاقات بنى يفرن فى رندة مع غيرهم من دويلات الطوائف الأخرى ، فالمعلومات المتوفرة لدينا فى المصادر شحيحة للغاية ، وهناك بعض الأخبار المتناثرة ، ولكنها تزودنا بتفاصيل توضـــح نوع هذه العلاقات ٠ فعلى سبيل المثال ذكر ابن حيان أن اليفرنيين بزعامة أبى نور هلال اشتركوا مع بنى برزال أصحاب قرمونة وباديس بن حبوس صاحب غرناطة ومحمد بن جهور صاحب قرطبة فى مهاجمة أحد حصون بنى دمر ، حيث تمكنوا من اقتحام هذا الحصن عنوة « فقتلوا رجاله عن آخرهم ، وهتكوا الأستار وفتكوا بالأبكار »(١٥٥) ٠ ولم يحدد لنا ابن حيان — الذى أورد هذا الخبر — تاريخا لهذه الغزوة ، كما أنه لم يذكر الأسباب التى دعت اليها ٠

كذلك شارك بنو يفرن فى استعادة قلعة بربشتر(١٥٦) التى كانت قد تعرضت لمحنة دامية عندما استولى عليها الصليبيون عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ٠ وقد انتهز المقتدر أحمد بن سليمان بن هود حاكم سرقسطة فرصـــة اشتعال الصراع بين مملكتى أراجون وقشتالة ، وبعث الى المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية يطلب منه المساعدة لاستعادة هذه

---

(١٥٤) ابن خلدون : ج٤ ص ١٥٥ ٠

(١٥٥) ابن عذارى : ج٣ ص٢٦٩ ٠

(١٥٦) بربشتر Barbastro مدينة حصينة بشمال اسبانيا فى مقاطعة وشقه Huescó تقع على بعد ستين كيلو مترا شمالى سرقسطه ، وتقع على احد فروع نهر الابرو بين مدينتى لارده وسرقسطة ٠ راجع : ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط ٠ تحقيق د٠ احمد مختار العبادى ٠ مدريد ١٩٧١ ص٧٢ حاشية ٦ ٠ وهى غير ببشتر Bobastro السالفـــة الذكر التى تقع جنوبا بنواحى رندة فى جنوب اسبانيا والتى كانت مقر للثائر ابن حفصون ٠

القلعة ، فأرسل اليه أحد قادته ويدعى معاذ بن أبى قرة(١٥٧) فى قوة عدتها خمسمائة فارس من أشداء البربر ، وتمكن ابن هود بفضل هذه المساعدات من استرداد بربشتر وذلك فى الرابع من جمادى الأول عام ٤٥٧هـ/٣ أبريل ١٠٦٥م(١٥٨) .

د — بنو يفرن والعباديون أصحاب اشبيلية :

حرص القاضى محمد بن اسماعيل بن عباد صاحب اشبيلية (تولى حكمها من ٤١٤هحتى ٤٣٣هـ/١٠٢٣م — ١٠٤١م) على خطب ود أمراء الممالك البربرية فى جنوب الأندلس المتاخمة لدولته اتقاء لشرهم ، حيث شكل هؤلاء البربر قوة عسكرية كبرى يخشى بأسها . وقد انتهج ابنه

---

(١٥٧) ذكر الدكتور مختار العبادى أن معاذ بن أبى قرة هذا ، ربما يكون أحد قرابة الأمير أبى نور هلال بن أبى قرة اليفرنى صاحب رنده أو هو احد أبنائه (ابن الكردبوس : المصدر السابق ص٧٣ ح٤) ، واذا صح ما ذكره الدكتور العبادى ، يكون القائد معاذ أخا لأبى نور هلال . ولمعاذ بن أبى قرة حكاية طريفة مع المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية ، فقد ذكر النويرى أن المعتضد ذهب يوما الى قرمونة بعد أن شرب الخمر مع رجاله ، ولم يكن معه فى رحلته الى قرمونة سوى عبد واحد من جملة عبيده ، وأراد قادة البربر فى قرمونة انتهاز هذه الفرصة للتخلص من ابن عباد اقوى ملوك الطوائف ، بيد أن معاذا تدخل بينهم وأقنعهم بعدم تنفيذ ذلك ، ويضيف النويرى أن المعتضد سمع نقاش زعماء البربر بشأنه ، وعلم أن معاذ بن أبى قرة هو الذى اقنع الآخرين بألا يخفروا ذمته ، ولذلك حفظ المعتضد هذا الجميل لمعاذ ، وأبقاه معه فى أشبيلية ، واستمر معاذ بها حتى بعد وفاة المعتضد وتولى ابنه المعتمد أمورها ، بل أنه ظل مقيما بهـا حتى دخول المرابطين اشبيلية عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م . النويرى : نهاية الأرب (القسم الخاص بالمغرب) ص١٥٤ — ١٥٥ .

(١٥٨) ابن الكردبوس : المصدر السابق ص٧٢ — ٧٣ . ابن بسام: الذخيرة . القسم الثالث . المجلد الأول ص ١٩٠ .

عباد محمد الملقب بالمعتضد (٤٣٣ — ٤٦١هـ/١٠٤١ — ١٠٦٨م) نهجه، وعمل على استمالة هذه الدويلات البربرية — وخاصة بنى يفرن — الى جانبه ، فتحالف مع اليفرنيين ، ووصل الجميع بأجزل الصلات سياسة لهم وطمعا فى استئصالهم[١٥٩] . ويشير ابن خلدون الى أن المعتضد أقر أبا نور هلال بن أبى قرة على ولاية تاكرنا ورندة وأعمالها ، وكتب له سجلا بذلك عام ٤٤٣هـ/١٠٥١م[١٦٠] . بيد أن المعتضد لم يلبث أن انقلب على هؤلاء البربر ، وأراد القضاء على ممالكهم الصغيرة وضمها الى دولته . ولما كان المعتضد لا يملك القوة العسكرية اللازمة التى تمكنه من الدخول فى حرب سافرة مع هذه الممالك ، فانه لجأ الى سلاح الخديعة والمكر ، ولذلك دبر مؤامرة للتخلص من زعماء البربر بالأندلس، ففى رجب عام٤٤٥هـ/أكتوبر١٠٥٣م،دعا المعتضدكل من محمدبن نوح الدمرىصاحب مورور[١٦١]وعبدون بن خزرون أميربنىبرزيان وصاحب شذونةوأركش[١٦٢]وأبى نو هلال بن أبىقرة صاحب رندة الىاشبيلية لحضورحفل أعذارأولاده«فأتوهفىأحسن زىوأبهىملبس وأفخم عدة»

---

(١٥٩) ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٢٧٠ .

(١٦٠) ابن خلدون : العبر ج٤ ص١٥٧ ، ج٧ ص٢٣ .

(١٦١) مورور Moron : احدى كور الأندلس الجنوبية ، تقع جنوبى الوادى الكبير على سفح جبل Sierra Moron وهى تتاخم كل من قرمونة وشذونة . ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٥ ص٢٢٢ — الحميرى : الروض المعطار ص٥٦٤ .

(١٦٢) اركش Arcos de la Frontera : احدى مدن كورة شريش Jerez وتقع على بعد خمسين كيلو متر شمال شرقى مدينة قادس . الحميرى : المصدر السابق ص٢٧ — ٢٨ ، ابن الآبار : الحلة السيراء : ج٢ ص٢٤٢ ح١ .

فجاؤوا اليه يباهون عليه فى نحو مائتى فارس من رؤساء قبائلهم »(١٦٣). وقد أحسن المعتضد استقبالهم فى بداية الأمر ، ولكنه لم يلبث أن غدر بهم وقبض عليهم . وتجمع الروايات على أن المعتضد دعاهم لدخول حمام كان قد أخلاه لهم يعرف بحمام الرقاقين ، فلما دخلوه كبلهم وسجنهم فيه ، وأخذ بغالهم وأخبيتهم وعددهم ، ثم أمر بالبناء على أبواب الحمـــام ، كما أمر السخان أن يكثر من الوقود حتى اشتدت الحرارة داخل الحمام ، فلما أرادوا الخروج وجدوا الأبواب قد سدت بالبناء ، ولم يتمكنوا من الخروج فهلكوا جميعا باستثناء أبا نور هلال الذى أطلق المعتضد سراحه لليد التى كانت له عنده فى مثلها(١٦٤) .

ويبدو أن أبا نور هلال قضى فترة من الوقت باشبيلية معتقلا لدى ابن عباد ، ولذلك قام بنو يفرن فى رندة حينما علمـــوا بنبأ اعتقال أميرهم ، باختيار ابنه باديس حاكما عليهم ، ولكن باديس هذا كان فاسقا مجرما « فسام الناس الخسف وامتحنهم فى أموالهم بالنهب وفى نسائهم وبناتهم بالعهر »(١٦٥) . ولم يطل حكم باديس لرندة ، اذ قتل على يد أبيه عام ٤٤٩هـ/١٠٥٧م ، وتشير المصادر الى أن المعتضد أراد التخلص من أبى نور هلال وابنه باديس ، فكاد له بأن سعى الى ابلاغ أبى نور بأن ولده باديس قد زنى بامرأته وعمته ، ثم سمح المعتضد لأبى نور هلال بالرحيل من اشبيلية الى رندة ، فلما وصلها قبض على

---

(١٦٣) ابن عذارى : ج٣ ص ٢٧٠ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام (نشر بروفنسـال) ص٢٣٩ .

(١٦٤) نفس المصدر السابق ج٣ ص٢٧١ ، ص ٢٩٥ ، مفاخر البربر ص ٤٥ — ابن الخطيب : اعمال الأعلام (نشر بروفنسـال) ص٢٣٩ — ابن خلدون : العبر ج٤ ص١٥٧ .

(١٦٥) ابن عذارى : ج٣ ص٣١٢ .

ولده وضرب عنقه ، كما قتل أخته (أخت أبى نور) أيضا[١٦٦] • ولم يعش أبو نور طويلا ، اذ توفى بعد ذلك بقليل •

هـ — نهاية دولة بنى يفرن فى رندة :

تولى أبو الفتوح نصر بن أبى نور هلال اليفرنى امارة بنى يفرن فى رندة وذلك أواخر عام ٤٤٩هـ/١٠٥٧م ، وبايعته بلاد رية ، وخطب له على منابر مالقة وسائر كورة تاكرنا • وكان أبو الفتوح نصر حاكما عادلا حسن السيرة ، ولكن يؤخذ عليه انهماكه فى الشراب وميله الى الراحة واللذة • وقد انتهز المعتضد بن عباد تطور الأمور فى رندة على هذا النحو ، وعمــل على ضمها الى دائرة نفــوذه ، فاتفق مع أحد سمار[١٦٧] قصبة رندة ، ويسمى ابن يعقوب على الفتك بأبى نصر ، فثار ابن يعقوب وأصحابه ، ودخلوا قصر أبى نصر وصاحوا بشعار ابن عباد ، فلما أراد أبو نصر الفرار ، وثب من احدى شرفات القصر ، فهوى الى أسفل ووقع على صخرة فلقى حتفه • ومن العجيب — كما يذكر ابن عذارى — أن أحدا من أهل رندة لم يرفع يدا لابن يعقوب ، بل سد كل فرد بابه وطلب العافية ، وتم ذلك فى ٤٥٧هـ/١٠٦٥م[١٦٨] • وهكذا

---

(١٦٦) هذه الرواية ذكرها كل من ابن عذارى (نفس المصدر السابق والصفحة) وابن حزم (جمهرة أنساب العرب ص٥١) ، أما ابن خلدون فيشير الى أن أبا نور ادرك فيما بعد المكيدة التى دبرها المعتضد له ولابنه ، وكيف انه تسرع فى قتل ولده ، فشعر بالأسى والأسف ومات حزنا على ولده، العبر ج٧ ص٢٣ •

(١٦٧) السمار : هم الحراس الليليون الذين يقومون بحراسة القلاع أو القصاب أو الأربطة والابلاغ عن تحركات العدو لانهم أول من يرونه راجع : د. مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس . ص٣٠١ ، Dozy: Supp. Vol. 1. P. 682.

(١٦٨) ابن بسام : الذخيرة . القسم الثانى المجلد الاول ص٣٩ — ٤٠— ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص٣١٤ — ابن خلدون : ج٤ ص١٥٧ ، ج٧ ص٢٣ •

سقطت رندة فى يد المعتضد بن عباد ، وقضى على دولة بنى يفرن فى الأندلس . وقد أبدى المعتضد سرورا بالغا بسقوط رندة فى قبضته ، وتغنى هو والشعراء بهذه المناسبة[١٦٩] .

ولاشك أن استيلاء المعتضد على رندة وأحوازها ، بالاضافة الى استيلائه على مورور عام ٤٥٨هـ/١٠٦٦م ، وقرمونة عام ٤٥٩هـ/١٠٦٧م ، وأركش عام ٤٦١هـ/١٠٦٨م ، قد أضعف كثيرا من شوكة البربر فى الأندلس ، ولم يعد باقيا من ممالكهم سوى دولة بنى زيرى بغرناطة ، وخشى باديس بن حبوس الصنهاجى على نفسه من غدر المعتضد ، ويصور لنا ابن حيان الحالة السيئة التى كان عليها باديس بن حبوس عندما علم بنبأ مصرع أبى الفتوح نصر بن أبى نور هلال اليفرنى ، واستيلاء ابن عباد على رندة بقوله « وأن أميرها باديس قام للحادثة وقعد ، وهاج من داء عصبيته ما قد سكن ، وشق أثوابه ، وأعلق أعواله ، وهجر شرابه الذى لا صبر له عنه ، وجفا ملاذه ، وأوهمته نفسه الخبيثة تمالؤ رعيته من أهل الأندلس على الذى دهى أبا نصر ، فسولت له نفسه على حمل السيف على أهل حضرته جميعا »[١٧٠] . بيد أن ابن

---

(١٦٩) من ذلك قول المعتضد :

لقد حصلت يا رندة فصرت لملكنا عقده
أفادتناك أرماح وأسياف لها حدة
وأجناد أشداء اليهم تنتهى الشدة

كما أشار الشاعر الاشبيلى أبو الحسن على بن حصن الى استيلاء المعتضد على دويلات البربر فى جنوب الأندلس بقوله :

به دمر الرحمن دمر وانطوى بنو يفرن أعدى الأعادى وأمرق
ومن آل يرنيان انكث أمة لعهد وميثاق وأغوى وأفسق

ابن بسام : المصدر السابق . القسم الثانى . المجلد الأول ص٣٢ — ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢ ص٤٩ — ٥٠ .

(١٧٠) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة . تحقيق محمد عبد الله عنان . القاهرة ١٩٧٣ . ج١ ص٤٤٤ — ٤٤٥ — ابن خلدون : ج٤ ص١٥٧ .

حبوس الصنهاجى لم يجرؤ على الفتك برعيته — كما ذكر ابن حيان —، ولكنه خرج بجيوشه لقتال ابن عباد ، ولما لم يظفر منه بطائل ، عاد الى عاصمته غرناطة •

أما بنو يفرن ، فقد تفرقوا فى البلاد ، فاجتاز قسم منهم مضيق جبل طارق ونزلوا بسبتة ، ولكنهم اضطروا الى الرحيل عنها عندما طردهم سقوت البرغواطى صاحب سبتة ، فتعرضوا لمجاعة شديدة أهلكت الكثير منهم[١٧١] ، أما القسم الآخر الذى بقى فى بلاد الأندلس فلم تشر المصادر الى مصيرهم •

---

(١٧١) ابن خلدون : ج٤ ص١٥٧ •

مصـــادر ومراجـــع البحث

أ ــ المصـــادر :

١ ــ ابن الأبار : محمــد بن عبد الله بن أبى بكــر القضاعى البلنسى (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) :
ــ الحلة السيراء • تحقيق د• حسين مؤنس • الطبعة الثانية • القاهرة ١٩٨٥ •

٢ ــ ابن الأثير : أبو الحسن على بن محمد الجــزرى (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) :
ــ الكامل فى التاريخ • طبعة دار صادر • بيروت •

٣ ــ الأدريسى : أبو عبد الله محمد الشريف السبتى (ت حوالى ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م) :
ــ نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق • تحقيق مجموعة من العلماء• نشر مكتبة الثقافة الدينية • القاهرة • بدون تاريخ •

٤ ــ ابن بسام : أبو الحسن على بن بسام الشنترينى (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) :
ــ الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة • تحقيق د• احسان عباس، ليبيا ــ تونس ١٩٧٥ •

٥ ــ البكرى : أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز المرسى (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) :

— المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب • نشر البارون دى سلان• الجزائر ١٩١١ •

٦ — الجزنائى : أبو الحسن على :
— زهرة الآس فى بناء مدينة فاس • نشر ألفرد بل • الجزائر ١٩٢٢ •

٧ — ابن حزم الأندلسى : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) :
— جمهرة أنساب العرب • تحقيق عبد السلام هارون • الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ •

٨ — ابن حماد : أبو عبد الله محمد بن على (ت ٦٢٨هـ/١٢٣١م) :
— أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم • نشر فوندر هايدن • الجزائر ١٣٤٦هـ •

٩ — الحميرى : أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى (ت أواخر القرن التاسع الهجرى/١٥م) :
— الروض المعطار فى خبر الأقطار • تحقيق د• احسان عباس • بيروت ١٩٧٥ •

١٠ — ابن حوقل : أبو القاسم محمد البغدادى (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) :
— صورة الأرض • نشر J.H. Kramers ليدن ١٩٣٨ •

١١ — ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبى (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) :
— المقتبس فى أخبار بلد الأندلس •
قطعة خاصة بالثلاثين سنة الأولى من حكم الخليفة عبد الرحمن

الناصر ، نشر بدرو شالميتا وفدريكو كورنيطى ومحمود صبح ، مدريد ١٩٧٩ ٠

ـ وقطعة أخرى تتناول قسما من عصر الحكم المستنصر ، نشرها عبد الرحمن حجى ، بيروت ١٩٦٥ ٠

١٢ ـ ابن الخطيب : لسـان الدين أبو عبد الله محمـد (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) :

ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ٠ القسم الخاص بالأندلس ، نشره ليفى بروفنسال ٠ بيروت ١٩٥٦ ، والقسم الخاص ببلاد المغرب وصقلية نشر د٠ أحمد مختار العبادى وابراهيم الكتانى ٠ الدار البيضاء ١٩٦٤ ٠

ـ مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ٠ مجموعة من رسائله ٠ نشرها د٠ أحمد مختار العبادى ٠ الاسكندرية ١٩٨٣ ٠

ـ الاحاطة فى أخبار غرناطة ٠ الجزء الأول ٠ نشر محمد عبد الله عنان ٠ القاهرة ١٩٧٣ ٠

١٣ ـ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨/١٤٠٥م) :

ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ٠ بولاق ١٢٨٤هـ ٠

١٤ ـ ابن خلدون : أبو زكريا يحيى (ت ٧٨٠هـ/١٣٧٨م) :

ـ بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ٠ الجزء الأول ٠ تحقيق عبد الحميد حاجيات ٠ الجزائر ١٩٨٠ ٠

١٥ ـ ابن خياط : أبو عمرو خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ تقريبا/٨٥٤م):

ـ تاريخ خليفة بن خياط ٠ تحقيق أكرم العمرى ٠ بغداد ١٩٦٧ ٠

١٦ — الدرجيني : أبو العباس أحمد بن سعيد (ت ٦٧٠هـ/١٢٧١م) :

— طبقات المشايخ بالمغرب المعروف بطبقات الاباضية • تحقيق ابراهيم طلاى • قسنطينة ١٩٧٤ •

١٧ — الرقيق القيروانى : أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم (ت بعد ٤١٨هـ/١٠٢٧م) :

— تاريخ افريقية والمغرب • قطعة نشرها المنجى الكعبى • تونس، ١٩٦٧ •

١٨ — ابن أبى زرع : أبو العباس أحمد (كان حيا ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) :

— الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، نشر كارلوس يوحنا تورنبرج • أوبسالا ١٨٤٣م•

١٩ — أبو زكريا يحيى بن أبى بكر السدراتى الورجلانى (ت ٤١٧هـ/ ١٠٧٨م) :

— كتاب سير الأئمة وأخبارهم • تحقيــق اسماعيل العربى • الجزائر ١٩٧٩م •

٢٠ — ابن سعيد المغــربى : أبو الحسن على بن موسى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) :

— المغرب فى حلى المغرب • تحقيق شوقى ضيف • الطبعة الثانية• دار المعارف بالقاهرة • ١٩٦٤ •

٢١ — السلاوى : أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م) :

— الاستقصا لأخبار دول المغــرب الأقصى • الدار البيضاء • ١٩٥٤ •

٢٢ ـ الشماخى : أبو العباس أحمد بن سعيد (ت ٩٢٨/١٥٢٢م) :
ـ كتاب السير • طبعة حجرية • القاهرة ١٨٨٤م •

٢٣ ـ ابن الصغير المالكى : (ت أواخر القرن الثالث الهجرى / بداية العاشر الميلادى) :
ـ أخبار الأئمة الرستميين • تحقيق د• محمد ناصر وابراهيم بحاز • منشورات دار الغرب الاسلامى • بيروت ١٩٨٦ •

٢٤ ـ الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م) :
ـ تاريخ الرسل والملوك • تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم • الطبعة الرابعة • دار المعارف • القاهرة ١٩٧٩ •

٢٥ ـ ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) :
ـ فتوح مصر وأخبارها • ليدن ١٩٢٠م •

٢٦ ـ الأمير عبد الله الزيرى الصنهاجى
ـ مذكرات الأمير عبد الله الزيرى المسماة بكتاب التبيان • تحقيق ليفى بروفنسال • دار المعارف • القاهرة ١٩٥٥ •

٢٧ ـ ابن عذارى المراكشى : أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيا ٧١٢هـ/١٣١٢م) :
ـ البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغـرب • الأجزاء الثلاثة الأولى تحقيق ليفى بروفنسال و ج•س•كولان • بيروت ١٩٨٠•
الجزء الرابع تحقيق احسان عباس • بيروت ١٩٨٠ •

٢٨ — ابن غالب : محمد بن أيوب الأندلسى :
— فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس . قطعة نشرها الدكتور لطفى عبد البديع فى مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد الأول ، ج٢ ، القاهرة ١٩٥٥ .

٢٩ — ابن الكردبوس : أبو مروان عبد الملك التوزرى (عاش فى أواخر القرن السادس الهجرى/١٢م) :
— تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط . تحقيق د. أحمد مختار العبادى . مدريد ١٩٧١ .

٣٠ — المراكشى : عبد الواحد (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) :
— المعجب فى تلخيص أخبار المغرب . تحقيق محمد سعيد العريان. القاهرة ١٩٦٣ .

٣١ — المقرى : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م) :
— نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . تحقيق د. احسان عباس . بيروت ١٩٦٨ .

٣٢ — المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) :
— اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا . الجزء الأول . تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٦٧ .

٣٣ — مؤلف مجهول : (من رجال القرن السادس الهجرى/١٢م) :
— الاستبصار فى عجائب الأمصار . تحقيــق د. سعد زغلول عبد الحميد . الاسكندرية ١٩٥٨ .

٣٤ ـ مؤلف مجهول :
ـ مفاخر البربر • نشر ليفى بروفنسال • الرباط ١٩٣٤ •

٣٥ ـ مؤلف مجهول : (من أهل القرن الثامن الهجرى/١٤م) :
ـ الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية • تحقيق د• سهيل زكار وعبد القادر زمامة • الدار البيضاء ١٩٧٩ •

٣٦ ـ النعمان : القاضى أبو حنيفة بن محمد بن حيون المغربى (ت ٣٦٣هـ/٩٧٤م) :
ـ المجالس والمسايرات • تحقيق الحبيب الفقى وابراهيم شبوح ومحمد اليعلاوى • منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٩ •

٣٧ ـ النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م):
ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب • القسم الخاص ببلاد المغرب والأندلس • نشر د• مصطفى أبو ضيف • الدار البيضاء ١٩٨٥م •

٣٨ ـ ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):
ـ معجم البلدان • طبعة بيروت •

ب ـ المراجع العربية والمعربة :

١ ـ اسماعيل : دكتور محمود :
ـ الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى • الطبعة الثانية • القاهرة ١٩٨٦ •
ـ مغربيات • دراسات جديدة • المحمدية • ١٩٧٧ •

٢ — البارودى : دكتور رضوان محمد رضوان :
— الفهريون فى المغرب والأندلس ودورهم السياسى والحضارى، الاسكندرية ١٩٨٦ .
— التاريخ السياسى لمدينة سبته منذ القرن الرابع الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى، مقال بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد ٣٦ عام ١٩٨٩ .

٣ — بروفنسال : ليفى :
— نص جديد عن فتح العرب للمغرب، ترجمه وعلق عليه د. حسين مؤنس . صحيفة معهد الدراسات الاسلامية . مدريد ١٩٥٤ .

٤ — خليفات : دكتور عوض محمد :
— نشأة الحركة الاباضية . عمان ١٩٧٨ .

٥ — سالم : دكتور السيد عبد العزيز :
— المغرب الكبير . الاسكندرية ١٩٦٦ .
— تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس . الاسكندرية .
— قرطبة حاضرة الخلافة . جزءان . الاسكندرية . ١٩٨٤م .

٦ — سالم : دكتورة سحر :
— من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب فى العصر الاسلامى . بحث ألقى فى مؤتمر الحركات الهدامة فى التاريخ الاسلامى قديما وحديثا . كلية الآداب جامعة الزقازيق ٢٠ — ٢٢ نوفمبر ١٩٩٠ .

٧ ــ العبادى : دكتور أحمد مختار :
ــ فى التاريخ العباسى والفاطمى ، بيروت ١٩٧١ ،
ــ فى التاريخ العباسى والأندلسى ، بيروت ١٩٧٢ ،
ــ فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ،
ــ دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ١٩٦٨م ،

٨ ــ عبد الحميد : دكتور سعد زغلول :
ــ تاريخ المغرب العربى ، الاسكندرية ١٩٧٩ ،

٩ ــ عبد الله : عبد العزيز بن عبد الله :
ــ الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية ، معلمة المدن والقبائل ، المحمدية ١٩٧٧ ،

١٠ ــ العربى : اسماعيل :
ــ دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ، بيروت ١٩٨٣ ،

١١ ــ العربى : الصديق بن العربى :
ــ كتاب المغرب ، سلسلة اعرف بلادك ، العدد ٣ ، الرباط ،

١٢ ــ عنان : محمد عبد الله :
ــ دول الطائف منذ قيامها وحتى الفتح المرابطى ، الطبعة الثالثة: القاهرة ١٩٨٨ ،

١٣ ــ محمود : دكتور حسن أحمد :
ــ قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور

الوسطى . نشر دار الفكر العربى . القاهرة . بدون تاريخ .
١٤ — الميلى : محمد بن مبارك :
— تاريخ الجزائر فى القديم والحديث . الجزائر ١٩٦٣ .

جـ — المراجع الأجنبية :

1 — Basset (H.), et Levi Provençal :

Chella: Une nécropole mérinide, Rev. Hesperis, 1922 (1 et 2 trim),

2 — Dozy (R.) :

— Supplément aux Dictionnaires Arabes, Beyrouth, 1968.

3 — Encyclopedia of Islam.

4 — Provençal: (L.)

— Historie de L'Espagne Musulmane, Alger, 1944.

5 — Robles (Juilleu) :

Malaga Musulmana, Malaga 1957.

6 — Sel : Caridad Ruiz Almodovar:

Notas Para Un estudio de la taifa beréber de Ronda : Los Banu Ifran, Granada, 1983.

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١/٨٩٦٩
I.S.B.N. الترقيم الدولى
977 — 5246 — 00 — 2

دار نشر الثقافة بالاسكندرية

بنو يفرن

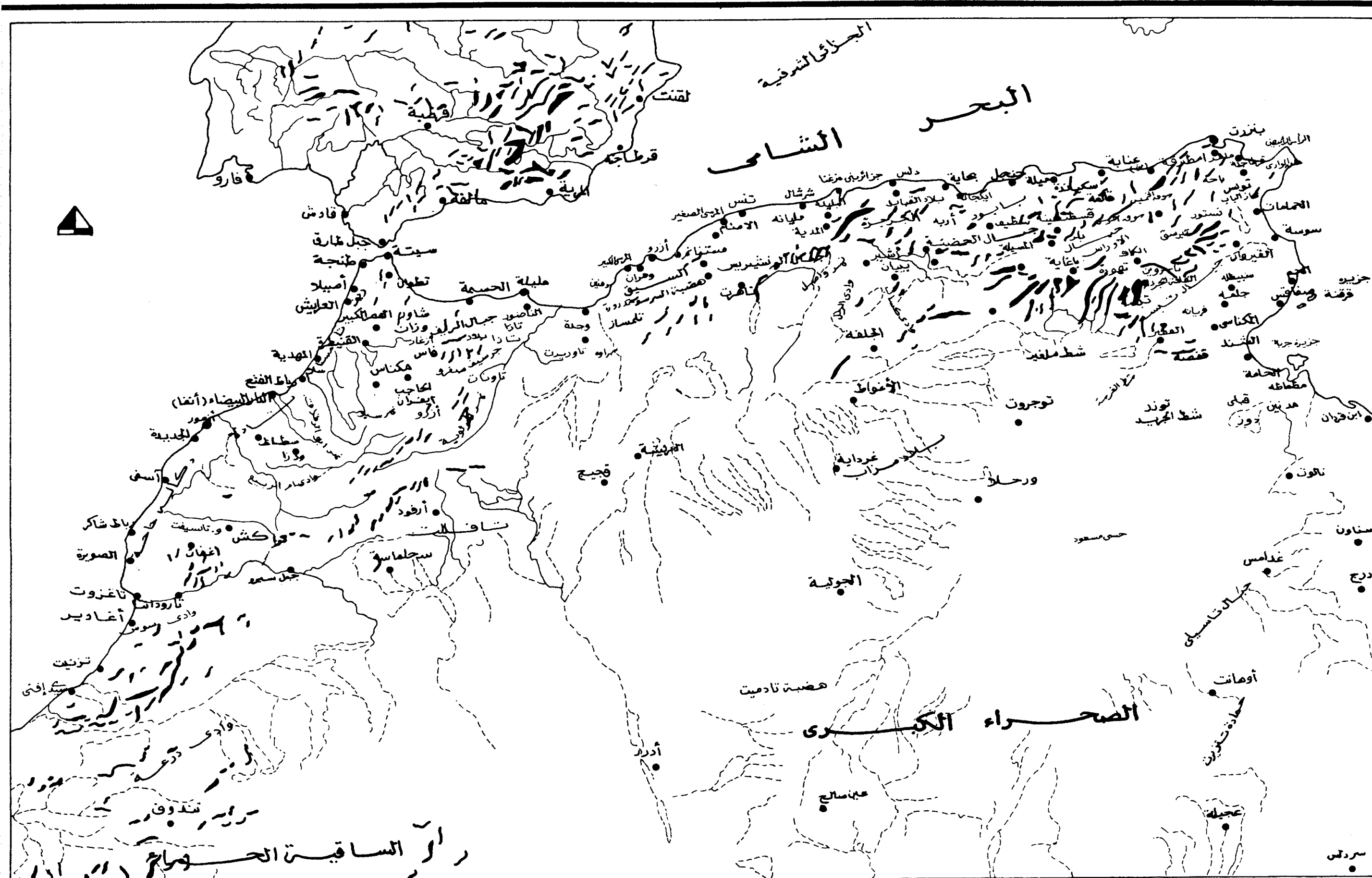
- صالح اليفرني
  - محمد (ت حوالى ٣٣٦ هـ)
    - يعلى « قتله جوهر عام ٣٤٧ هـ »
      - زيرى «قتله بن عمه أبو يداس»
        - زاوى
        - حمامة تولى أمر اليفرنيين بسلافتره
        - حبوس
        - تميم (أبو الكمال) ت : ٤٤٦ هـ)
          - حماد (ت ٤٤٩ هـ)
            - يوسف (ت ٤٥٨ هـ)
          - محمد (قتله المرابطون عام ٤٦٢ هـ)
      - قياطن « أطلق عليه بن أبى زرع أسم زمور»
      - يدو « قتل عام ٣٨٣ هـ »
  - قره
    - ابن قره (تولى أمر اليفرنيين عقب مصرع يعلى بن محمد وفقاً لرواية ابن غدارى)
      - دوناس
        - أبو زيد
        - أبو يداس
          - خلوف
            - تميم
        - عطاف
          - عبد الرحمن
            - يحيى
        - أبو قرة
          - أبنة تزوجها الحسن بن القاسم ابن حمود
          - معاذ
          - أبو نور هلال (صاحب رنده ت٤٤٩ هـ)
            - باديس (قتل على يد أبيه ٤٤٩ هـ)
            - أبو نصر فتوح (ت ٤٥٧ هـ)
        - زيرى
          - محمد

نقلاً عن: ابن خلدون : العبر + ابن زرع + مفاخر البربر لمؤلف مجهول + إبن حيان المقتبس .

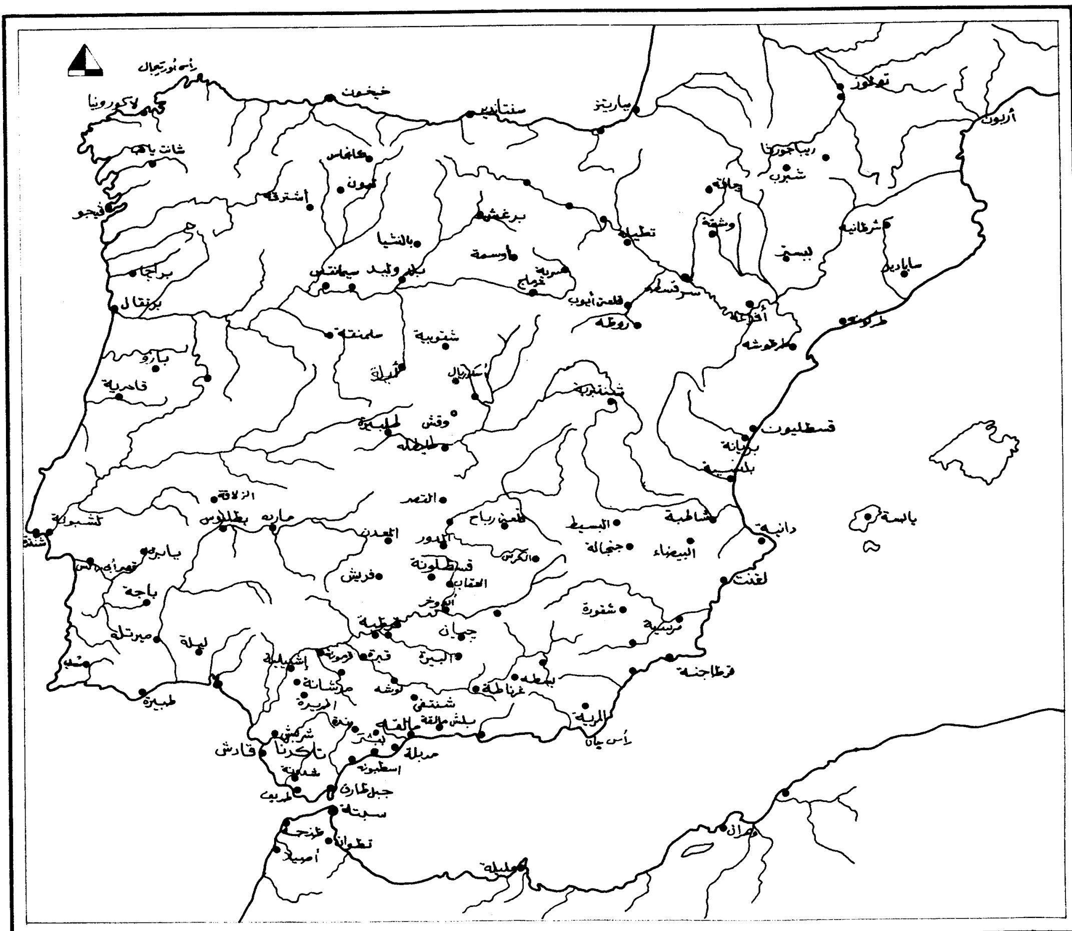
* بنو دوناس بن محمد رحلوا إلى الأندلس ، فى حين أستقر بنو يعلى بن محمد بالمغرب .

توزيع قبائل البربر في بلاد المغرب العربي

نقلا عن سعد زغلول تاريخ المغرب العربي


البحر الشامي
الصحراء الكبرى
الساقية الحمراء
قرطبة
قرطاجنة
المرية
مالقة
فارو
قادش
جبل طارق
سبتة
طنجة
أصيلا
العرائش
تطوان
مليلة
الحسيمة
فاس
مكناس
رباط الفتح
الدار البيضاء (أنفا)
الجديدة
آسف
الصويرة
مراكش
تاغزوت
أغادير
تزنيت
سجلماسة
فجيج
وجدة
تلمسان
وهران
مستغانم
تنس
شرشال
دلس
بجاية
جيجل
ميلة
عنابة
بنزرت
تونس
الحمامات
سوسة
القيروان
صفاقس
قفصة
الحامة
الأغواط
غرداية
توجورت
توزر
غدامس
الجولية
هضبة تادميت
أدرار
عين صالح

بلاد المغرب



بلاد الأندلس نقلا عن د. حسين مؤنس